

المعرفة



المعرفة

اللجنة العلمية الاستشارية للمعرفة :

اللجنة الفنية :

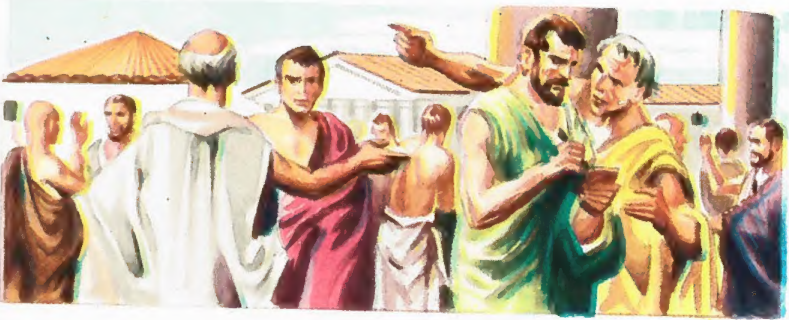
شفيق ذهني
موسون أنيافله
محمد زكي رجب
محمد مسعود
سكرتير التحرير : السيدة / عصمت محمد أحمد

رئيساً : الدكتور محمد فتواد إبراهيم
أعضاء : الدكتور بطرس بطرس غاني
الدكتور حسين فوزي
الدكتورة سعاد ماهر
الدكتور محمد جمال الدين الفندي

وأخذت القبائل بعد ذلك تتجمع ، والقرى تتقارب ، وبدأت الشعوب تتكون بالتدريج . ومن ثم فإن الرؤساء الذين كانوا يحكمونهم أصبحوا أكثر سلطة ، وأقوى نفوذاً ، وإن كانوا يخضعون لبعض التقاليد ، ومن ذلك استشارة بعض المجالس قبل إصدار القرارات .

ولكن يضمن هؤلاء الرؤساء المزيد من الطاعة ، كانوا يعتبرون أنفسهم في مصاف الآلهة (كما كان يفعل الفراعنة الذين حكموا مصر القديمة) ، أو رسلا للآلهة .

غير أننا بعد ذلك نجد نظماً للحكم الديمقراطي Democratic في الأزمنة القديمة ، وقد تطورت تلك النظم بصفة خاصة في بلاد اليونان : كانت المدن اليونانية تكون كل



المواطنون الأثينيون ينتخبون ممثلهم في الحكومة . كانت أثينا أول مدينة تجرى فيها انتخابات حرة .

منها ولاية مستقلة ، لها حدودها وقوانينها الخاصة ، وتعتبر أثينا مثلاً للمدينة الديمقراطية ، بعكس ما كانت عليه مدينة سبرطة ، التي كانت تحكمها حكومة مستبدة .

وفي روما تتابع النظامان . وبدئاً بحكم الملوك ، ثم بقنصلين ينتخبهما الشعب لمدة عام . ثم مرت بفترة ثانية من الحكم الديكتاتوري Dictatorial إبان الحكومة الثلاثية الأولى والثانية ، ثم أصبحت إمبراطورية .

وبعد سقوط الإمبراطورية الرومانية ، قضت غزوات البربر على كل الحضارات ، وبدأ بذلك حكم العنف ، وتوالى أعمال الاستغلال والتخريب والقوضى ، وكانت العدالة تقف في صف الأقوى ، أما الضعفاء فكانوا يقتلون في المبارزات ، وإذا أرادوا تجنبها ، اضطروا لدفع تعويض مالي .



بالقرب من ساحة الاجتماعات العامة ، كان يجتمع مجلس الشيوخ الروماني .

أو الحكومة التي لا تستند إلى قوانين ، والتي يتصرف فيها الجميع حسب أهوائهم . تلى هذا النوع من الحكم ، الحكم المطلق في جميع دول أوروبا . وكان للملك السلطة المطلقة على رعاياه ، الذين كانوا يعتبرونه شخصية مقدسة . وقد دام هذا النظام في إيطاليا إلى الوقت الذي ثارت فيه بعض الكومونات ، في سبيل الحصول على حكم أنفسهم بأنفسهم ، وكونوا إمارات ظل أمراؤها يملكون كافة السلطات .

دستور " الجزء الأول "

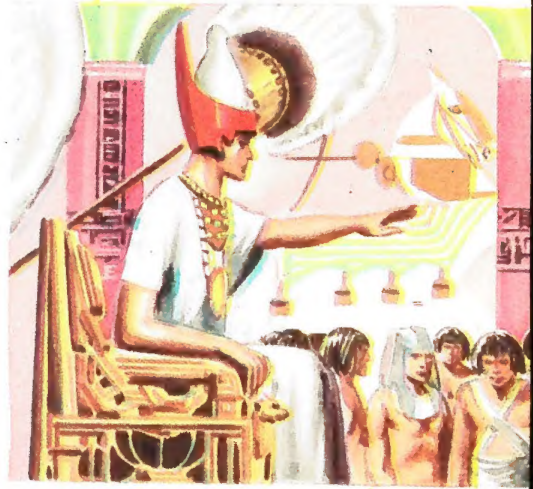
نظام الحكم المطلق والحكم الديمقراطي على مر التاريخ

كانت غريزة البقاء تدفع الإنسان منذ أقدم العصور للتجمع على هيئة قبائل رحل ، أو في قرى ثابتة . وكان الناس يشعرون بحاجتهم إلى زعيم يحكم هذا التجمع ، وإن كانوا يحرصون في الوقت نفسه على الاحتفاظ بحريتهم . وكانت نظم الحكم المطلق تنسم بمرحان سلطة الحاكم على حريات الأفراد . وقد تبودلت تلك النظم على مر التاريخ ، مع النظم الديمقراطية التي تحظى فيها الحرية بأهمية كبرى .

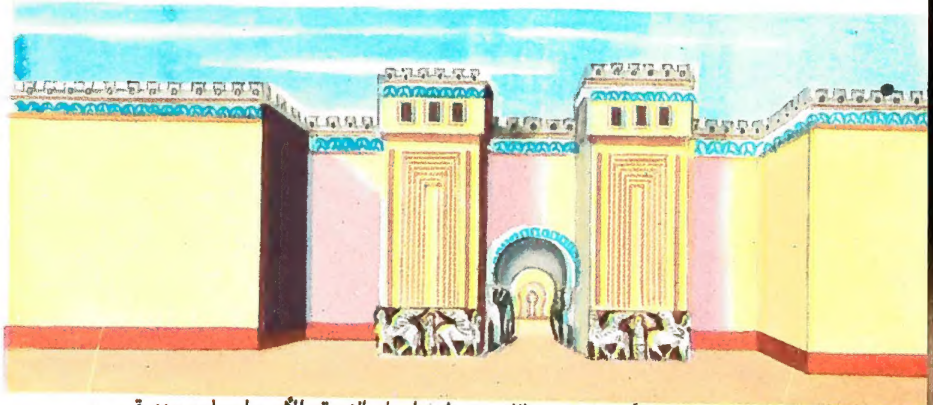
وهكذا نجد أن رؤساء القبائل الأولى كانت لديهم في الغالب سلطة مطلقة Absolute Power . وكانوا يختارون من بين أهل الحكمة المتقدمين في السن ، إذا كان المجتمع مسالماً ، أو من بين الأقوياء ، إذا كان المجتمع محارباً . وكان هؤلاء الرؤساء يملكون سلطة الحكم على الجميع ، واتخاذ القرارات الهامة ، وسلطة القضاء بفرض العقوبات على المذنبين ، وكان الجميع يدينون لهم بالاحترام والطاعة .



في إحدى القرى البدائية : الرئيس يوزع المحصول



في مصر القديمة ، كان الشعب يعبد الملك - فرعون - كإله



قصر الملوك الأشوريين ، الذين سيطروا على الشرق الأوسط عام ٧٠٠ ق . م .

أساطير رومانية قديمة

عندما تسنم الرومان السلطة الفعلية ، التفتوا إلى ماضيهم لمعرفة أصل مدينتهم ، فبين لم أنهم لا يعلمون عنها شيئا ، مما يثير دهشتنا اليوم ، لأننا نميل إلى الاعتقاد بأنهم شعب عتيق مثل مدنيهم . ومع ذلك ، فإن الأشخاص في عهود الملكية لدى أجداد الرومان - في عهد أغسطس - كانوا بالنسبة لهم نائين ، مثل نأى العصور

الوسطى وبعدها بالنسبة لنا . ولئن كنا نعلم أشياء كثيرة عن العصور الوسطى ، فرد ذلك ، في واقع الأمر ، إلى كثرة ما تبقى منها لدينا من قصص ووثائق .

أما فيما يخص الرومان ، فإننا لا نكاد نعلم شيئا عن عصور روما الأولى ، ذلك لأنهم كانوا يفضلون السيف على القلم . لكن الأساطير كانت رائجة ، فاهتم بجمعها كتاب عهود الجمهورية والإمبريالية . وفيما يلي بعض هذه الأساطير :

أهوراسيون والكورياسيون

في عهد تولوس هوستيليوس Tullus Hostilius (٦٧٣ - ٦٤٢ ق . م .) ، أعلنت روما الحرب على ألب لا لونج Alb-La-Longue ، التي كانت حتى ذلك الحين أكبر مدينة لاتينية . وكان العدو ملكا يدعى ميتوس فوفيتيوس Mettus Fuffetius ، الذي ألقى على الرومان خطبة حكيمة تضمنت هذه الكلمات : « نحن نعلم جميعا أن جيراننا الإتروريين يتحينون الفرصة السانحة لإخضاعنا نحن الشعوب اللاتينية ، في حين أننا نتشاجر .. سينظرون

إلينا ونحن نتقاتل ، وكأنهم يشاهدون منظرا جميلا ، وعندما يشعرون بضعفنا ، سينقضون علينا ، ويزموننا بدون مجهود . فلماذا لا نصفي ما بيننا من خلاف بأن يتبارز ثلاثة من المحاربين الألبان Albains ضد ثلاثة من الرومان ؟ » . فوافقت روما على هذا المنطق الرصين ، واختارت ثلاثة إخوة من أسرة هوراس ، واختارت ألب Albe ثلاثة إخوة من أسرة كورياس .

تبارز الرجال الستة في الحال ، وهم محاطون من الجانبين بصفوف الجيش المتراسة : وما أن بدأ تبادل الضربات ، حتى سقط اثنان من الإخوة هوراس صرعى . فارتفعت صرخات الانتصار من فريق الألبان ، أما الرومان فكانوا ينظرون في ذعر إلى هزيمة خيرة رجالهم ، في حين لم يكن الإخوة كورياس الثلاثة إلا مصابين فقط . أما الروماني المتبقي ، فقد طرأت له فكرة جهنمية ، بدلت الوضع تماما . فقد تظاهر بالفرار ، ليتفادى مجابهة الرجال الثلاثة في وقت واحد ، فتبعه أعداؤه ، ولكن جروحهم التي بلغت درجات مختلفة من الخطورة ، منعتهم من الركض بنفس السرعة ، فتباعوا .

وهنا توقف الروماني ، ورجع ناكصا على عقبيه ، هتفوا لأول الذين في أعقابهم

وقتل . ثم انتظر الثاني الذي وصل لاهتا فصرعه بسهولة . أما الثالث فكان منكمها من أثر الجرى وجروحه ، ففرض عليه ، وهو يقول « قتل الإثنى الأولين فداء روجي لإخوتي ، والآن أصرع الثالث لتظفر روما على « ألب لا لونج » .

هوراشيوس كوكليس

إن حوادث هاتين الأسطورتين اللتين سنرويها ، ترجع إلى أيام الحرب ضد پورسينا Porsenna ملك مدينة شيوزي Chiusi ، إحدى مدن الإتروريين ، الذي كان قد حاصر روما . وقد انتهت هذه الحرب في الواقع بهزيمة الرومان . وقد يكون إمعان المؤرخين الرومان في سرد الأحداث المرموقة التي اتسمت بها هذه الحرب ، بغرض إخفاء هذه الهزيمة المحزنة . وصلت جيوش الإتروريين Etruscan وكلها عزم وتصميم على حصار روما ، لكن عاقها نهر التيبر الذي كان يسد مدخلها .

وكان ثمة جسر

سوبليسوس Sublicius الخشبي الذي يؤدي إلى الضفة النهر المقابلة . فاتجه الجنود الإتروريون إلى هذا الجسر ، وكادوا يحتازونه في مدة قصيرة ، لولا أن رجلا شجاعا اسمه هوراشيوس كوكليس Horatius Cocles ،

مع اثنين من أصدقائه ، تصدوا لهم وسدوا الطريق أمامهم ، حاملين أسلحتهم بأيديهم . ومن خلفهم كان ثمة جنود آخرون يضربون الجسر بقوسهم بهمة لهدمه . ولما لم يتبق إلا امر ضيق ، أمر هوراشيوس زميله بأن يحتبأ ، وظل بمفرده لصد العدو . وأخيرا ، عندما سمع آخر كتلة خشب تسقط من الجسر منهارة ، التفت وقذف بنفسه في النهر ، وهو يحمل أسلحته ، ووصل إلى الضفة الأخرى ، شاقا

صفحة الماء بصربات ساعديه ، بالرغم من حراب الأعداء التي كانت تنهال عليه . واعترافا بصنيعه ، أقام له مواطنوه تمثالا في ساحة اجتماعاتهم ، كما أهدوه أرضا تبلغ مساحتها ، ما يمكنه حرثها على مدى يوم كامل .

كلاف

عندما تم الاتفاق على السلم ، اضطرت روما إلى تسليم بعض مواطنيها إلى پورسينا كرهائن ، يظلون أسرى إلى الأبد ، إذا لم تحترم روما تلك الاتفاقيات . وكانت من بين الرهائن الشابة كليلى Clelie ، التي هربت على رأس زميلاتها من معسكر الإتروريين ، وعبرت نهر التيبر سباحة ، ثم دخلت روما . فاستحقت لشجاعتهما مديح وثناء مجلس الشيوخ ، لكنه احتراما لبنود الاتفاقية - حتى مع العدو - فقد أمر المجلس بإعادة تسليم الشابات إلى ملك پورسينا .

هذه الأساطير والأقاصيص المستقاة من وقائع الحروب ، كانت تتواتر في روما ، وكانت تسرد كأمثلة لحث الشباب على الشجاعة والطاعة والوفاء . وهي صفات حميدة ، جعلت الشعب الروماني من أعظم شعوب الأجيال القديمة .

سور هادريان

مع مطلع القرن الأول الميلادي ، كانت الإمبراطورية الرومانية الضخمة قد بلغت أقصى مداها ، وقد بدأت بعض الطاقة التي كرس لتشييدها في الاضمحلال . . وما زاد الطين بلة ، أن قبائل الغزاة أخذت تهدد الحدود ، خاصة في ألمانيا . لذلك تقرر أنه لابد لسياسة الإمبراطورية الرومانية ألا تحاول التوسع ، ولكن أن تتحقق من أن حدودها تستطيع الثبات بصلابة أمام هذا التهديد . لذلك شيدت سلسلة من الحصون على طول نهر الراين Rhine لصد الغزاة .

وكانت المشكلة بعينها تماما في مقاطعة بريطانيا الصغيرة . ولقد شن يوليوس قيصر Julius Caesar حملتين على الجزيرة في عامي ٥٥ و ٥٤ ق . م . لكن الجزيرة لم يتم فتحها إلا في عام ٤٣ ميلادي ، على يد الإمبراطور كلاوديوس Claudius . وبالرغم من أن جنوب إنجلترا سرعان ما تم دحره ، إلا أن شعب الپكت Picts الشرس في الشمال ، أثبت أن هزيمته ليست بنفس اليسر . وسرعان أيضا ما اتضح أنه من الأصوب حجزهم عن باقي الجزيرة ، وكان سور هادريان نتيجة لهذا القرار .

التاريخ المبكر

في سنة ٧٨ ميلادية ، عين الإمبراطور فيسباسيان Vespasian القائد الشهير أجريكولا Agricola حاكما على مقاطعة بريطانيا المتمردة . وبعد سبعة أعوام من الحملات القاسية ، نجح أجريكولا في إخضاع جنوب الجزيرة ، وأخذ طريقه قدما داخل سكوتلند ، لكنه لم يهزم قط قبائل الپكت والاسكتلنديين من المهج الضمراء ، الذين كانوا آنذ يسكنون ذلك القسم من البلاد .

وقد أقام أجريكولا جبهة مؤقتة يحرسها خط من الخافر على طول خط يقع بين «لسان سولواي Solway Firth» الحالي ومصب نهر تاين Tyne ، لكن القبائل الجنوبية غدت متمردة خطيرة بعد رحيل أجريكولا بحوالي ٣٠ عاما ، وفي إحدى ثوراتهم ، ذبحوا الفيلق التاسع في «يورك» ، الذي كان يحتوى على ٣٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ من جنود الرومان . وبعد ذلك ، وفي عام ١٢٢ ، قدم الإمبراطور هادريان Hadrian إلى بريطانيا مع فيلق آخر ليحل محل الفيلق التاسع ، وأصدر أوامره بوجوب إعادة تنظيم الدفاع عن الجزيرة ، وبأن يعزل جنوبها عن شمالها بسور يمتد من الشاطئ إلى الشاطئ ، وعهد ببناء هذا السور إلى الحاكم أولاس پلاتوريوس نيبوس Aulus Platorius Nepos .

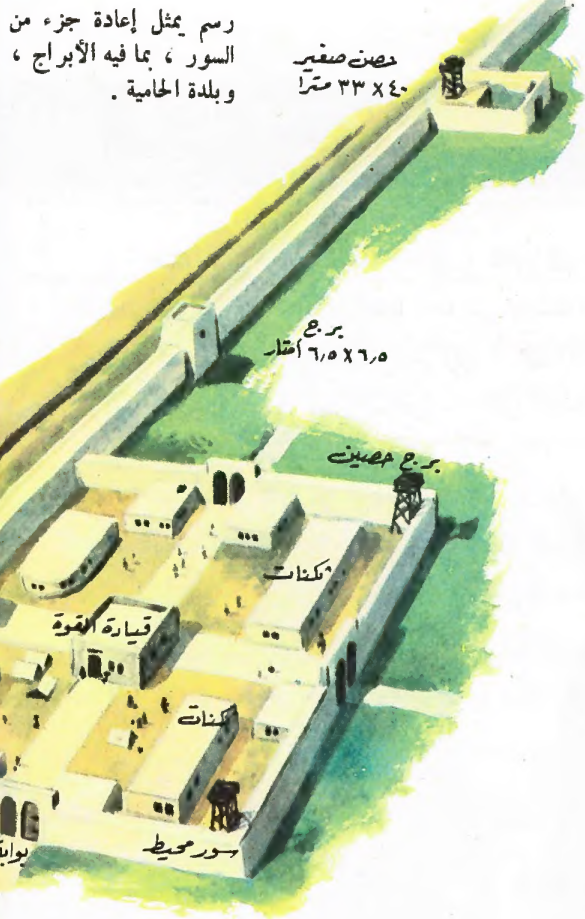
بناء السور

كلف پلاتوريوس نيبوس ثلاث فرق لبناء السور : الفرقة الثانية ، المسماة أوغسطا Augusta على اسم مؤسس الإمبراطورية ، والفرقة العشرين المسماة فاليريا فيكتريكس Valeria Victrix (أى المنتصرة) ، والفرقة السادسة المسماة پيا فيديليس Pia Fidelis (الموالية أو المخلصة) . . وكان امتداد السور ١١٧,٦ كيلومتر تقريبا ، وبينما كان الإثنان والسبعون كيلومترا الشرقية من الحجر ، فإن الباقي كان من الطمي الذي استبدلت به الحجارة فيما بعد . ولقد حدد لكل كتبة مؤلفة من ١٠٠ رجل من الكتاب التي قسم إليها الفيلق ، مسافة من السور يبنونها ، وحفرت كل منها اسمها على حجر في السور كذكرى للجهد الذي بذلته . ولقد اتخذت كتاب المئات عدتها الخاصة لآقتطاع الأحجار ، ونقلها من المحاجر القريبة .

وهكذا انتهك الصمت الذي ساد هذه البلاد المخوشة المهجورة قرونا والتي تبعد عن روما ما يربو على ٣٢٢٠ كيلومترا - انتهكه ضجيج العمل العملاق . كان الحجارون يتوجهون إلى المحاجر في الفجر ، بينما يتخذ الحراس وضع المراقبة طوال النهار خوفا من الهجمات المفاجئة ، والبنائون يعملون بجهد في بناء السور ، مما يشهد على قوة روما حتى على ذلك البعد .

من القناة الأيرلندية إلى بحر الشمال

وهكذا ارتفع السور راتحا في الفترة من عام ١١٢ إلى عام ١٢٨ . بدأ من نيوكاسل التي كان الرومان يدعونها پونس أيلياس Pons Aelius ، وامتد فما بعد إلى والسند Wallsend . كان يجري خلال بلاد موحشة خالية ، يتبع دائما أعلى الهضاب في الريف ما أمكن إلى ذلك سيلا ، ولم يعترض سيلا عائق طبيعي . وأخيرا بعد ما يزيد



القوات الرومانية تبنى المتراس العظيم في سور

على ١١٢ كيلومترا ، وصل إلى Bowness-on-Solway ، على بعد بضعة كيلومترات من الساحل الغربي ، وحتى يستمر خط الدفاع ، أكمل السور فما بعد عبر بونيس Bowness إلى البحر ، في البقعة التي تركت من قبل دون حماية .

السور

وبينما كان العمل يجري ، استحدثت تغييرات في الخطة جعلت من الصعب الرؤية الدقيقة للهدف .

وتظهر الرسوم الحديثة عادة السور كحصن عظيم تزيده قوة الأبراج على أبعاد ثابتة . لكن هذا لا يعطي سوى انطباع شاحب على الإنجاز الكلى . فالسور في الواقع يحتوى على جهاز من التحصينات على درجة هائلة . وحتى اليوم ، بعد ١٨٠٠ عام من بنائه ، مازالت بقاياه تثير الإعجاب الشديد . فالعديد من الكنائس ، والقلاع ، والقصور الريفية ، والطرق ، قد بنيت على مدى القرون من مواد نهب من سور هادريان . وكانت التحصينات تتكون من : (١) الخندق The Fossa ، وهو عبارة عن مجرى مائى على





هادريان يهدف الدفاع عن الأرض المحتلة .

شكل حرف ٧ ، يجرى على بعد حوالى ٦ أمتار أمام السور ، اتساعه حوالى ٩ أمتار وعمقه ٥ أمتار ، على كل من جانبيه متراس طيني (Valla) .

(٢) السور نفسه ، وكان من المفروض أصلاً أن يبلغ ارتفاعه حوالى ٧ أمتار ، وسمكه ٣,٣ متر ، لكنه في الواقع وصل إلى ٥ أمتار ارتفاعاً ، وحوالى مترين ونصف سمكا . ويمتد ممر عرضه حوالى متر على طول قبة السور . وكل ميل روماني (حوالى ١٤٨٠ متراً) كانت ثمة حصون صغيرة أو «قلاع ميلية» ، تحتوى على نفر من الجنود ، وبين كل قلعتين كان ثمة برج يستخدم للمراقبة . وهكذا احتفظ بالامتداد الكلى للسور تحت الإشراف والمراقبة بواسطة الدوريات ، حيث يستطيع أفرادها الاتصال ببعضهم بعضاً ، عن طريق الإشارات من برج إلى آخر .

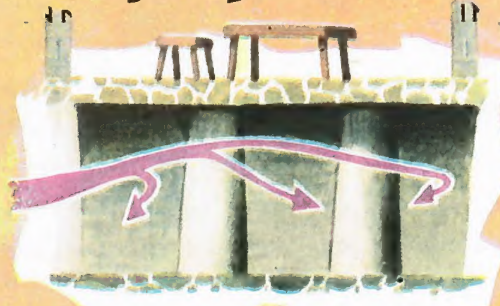
(٣) سلسلة من الحصون أو القلاع التي تحتوى على حاميات عسكرية ، مبنية من الحجارة وتنتصب كل ٨ كيلومترات . وكان ثمة ١٧ منها ، وهى في بعض الأحيان تستحوذ على المشاعر أكثر من السور نفسه . فكل منها تمثل بلدة صغيرة حصينة ، تغطى مساحة قدرها من فدان إلى فدانين ، وكانت إما مربعة ، وإما مستطيلة ، يحيط بها سور ارتفاعه حوالى ٣ أمتار . وكان لها أربع بوابات ، واحدة في كل جانب من جوانب السور ، ولكل باب مزدوج ، ومدخل خشبي ضخم يدور على مفصلات حديدية . وهذه المدخل مخافر للحراسة بجوارها ، وكانت الأبراج تحصن الأسوار . وقد يكون من المتوقع أن الحياة بداخل هذه القلاع أقرب إلى البدائية وهى على هذا البعد الشاسع من الحضارة ، حيث سكانها من الجنود وحدهم . لكن العبقورية الرومانية في الترتيب وجب النظام أكدت وجودها حتى هناك . فلقد تحولت

الحصون تدريجاً إلى مراكز حضارية صغيرة ، حيث يستطيع الجنود مواصلة الاستمتاع ببعض الرفاهية التي في المدن الرومانية الكبيرة ، وحيث يبيع المتآمرون من التجار للحامية العسكرية ، البضائع المستوردة من جميع أنحاء العالم الروماني .



السور كما يبدو من جرف كندى غرب هاوس ستيدز

الحمامات والتدفئة المركزية وتصاوير الجدران



الفراغ تحت الأرضية الذي يدور خلاله الهواء الساخن

يقع في وسط الحصن مقر القائد حيث الـ Sacellum ، وهو المحراب المقدس الذي يحتفظ فيه بالرايات والأعلام ، وثمة أيضاً المكاتب . ولهذا المنزل جدران مزينة بالتصاوير وبه حمام . وتلتف حول هذا المنزل ثكنات القوات ، وقيادات الضباط ، ومخازن المؤن الحربية ، ومخازن الحبوب التي تستوعب مؤونة عام ، والحمامات . وحتى في تلك البقع المنعزلة ، يلح شغف الرومان ولعهم بالحمامات ، حيث أقيمت الحمامات العامة Thermae ، والتي بنيت منها إلى جوار السور ، كانت أبنية فسيحة فاخرة ، بها غرف لتغيير الملابس ، وأحواض ، وغرف ذات حرارة متغيرة ، ونوافذ مزججة . وبالرغم من أن الحمامات والأبنية التي يسكنها الجنود ربما بدت رائعة روعة لا تصدق ، إلا أنها كانت تنعم كذلك بتدفئة مركزية كافية . وكان ذلك يتم عن طريق نظام التدفئة المركزية الروماني Hypocaust . وكانت الفراغات تترك تحت الجدران وفي الجدران نفسها ، يمر خلالها الهواء الساخن خلال أنابيب . وكانت الأرضيات تتركز على أعمدة لتترك الفراغ الكافي ، ومازال في مقدورنا مشاهدة الفراغات في الجدران .

وأحسن النماذج الباقية لأحد هذه الحصون يقع في هاوس ستيدز (Borcovicus) Housesteads .

نهر الراين

يعتبر نهر الراين The Rhine أطول أنهار أوروبا الغربية (طوله حوالي ١٣١٢ كم)، وأهم الطرق المائية في القارة كلها. وللنهر ذكريات تاريخية عديدة، ويرد اسمه في مئات من الأغاني الرومانسية والأساطير. وهو يشق طريقه وسط مناظر طبيعية من جميع الأشكال، من جبال سويسرا إلى سهول هولندا. وتحف بشاطئيه مدن صناعية حديثة، ومدن تاريخية، وقرى ذات مناظر جميلة. وتعد القلاع الجميلة الرومانتيكية التي تطل على نهر الراين من أهم السمات المميزة له. وتقوم هذه القلاع عادة فوق قمة تل أو صخرة، نذكر على سبيل المثال قلعة الراينهايم Rheinheim الجميلة. وإذا كنت مستقلاً سفينة تسير بك في النهر نحو مصبه، استطعت أن تشاهد بقايا بعض القلاع التي يرجع تاريخها إلى العصور الوسطى. وبالرغم من أن منبع النهر يقع في سويسرا ومصبه في هولندا، إلا أن الراين يعتبر في الواقع نهراً ألمانيا، كما كان له تأثير عميق على تاريخ ألمانيا.

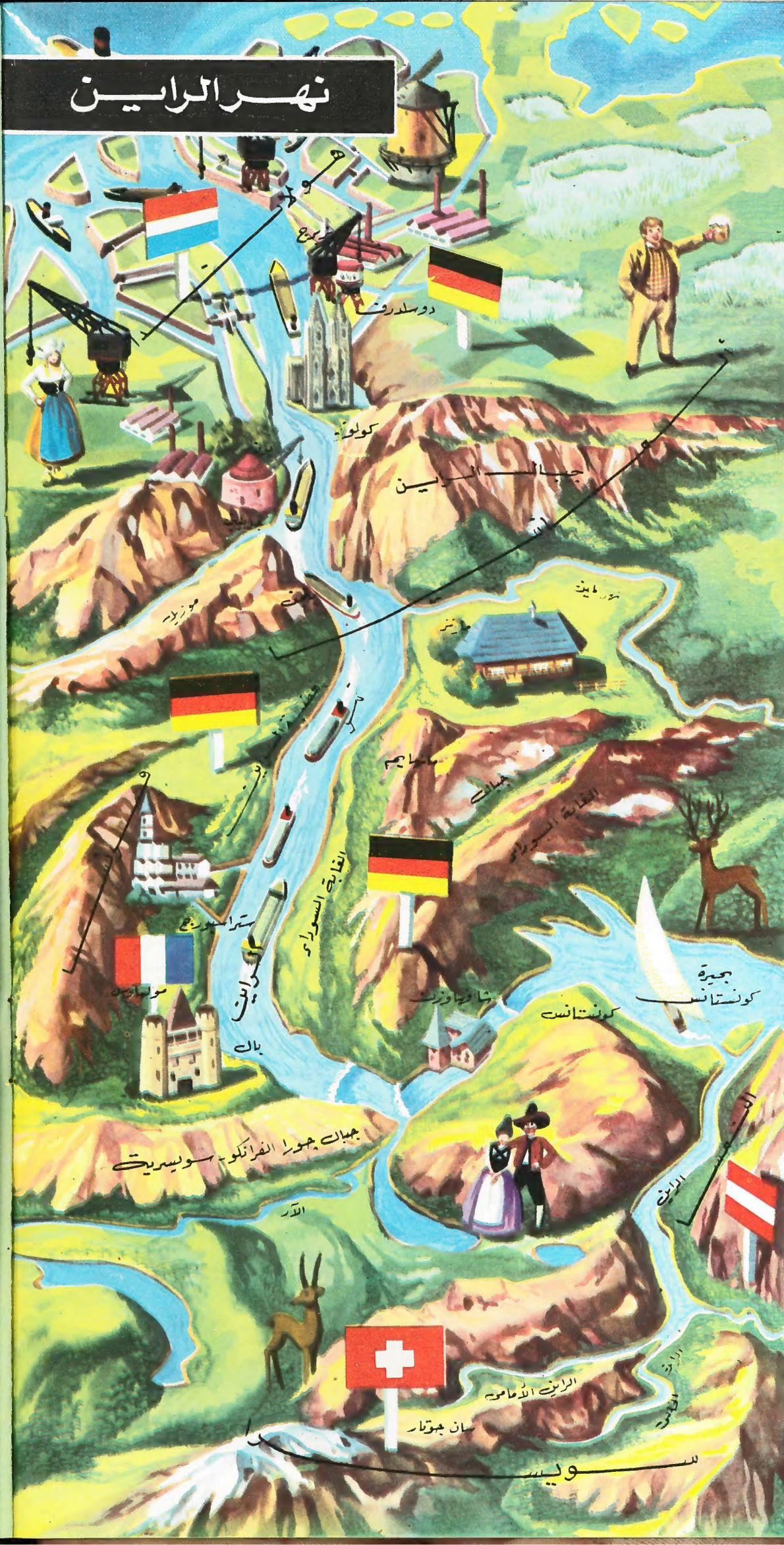
نبذة تاريخية

كانت القبائل الجرمانية القادمة من شرق أوروبا في عهد يوليوس قيصر، قد وصلت إلى الضفة الشرقية لنهر الراين، وبدأت في عبوره متجهة إلى بلاد الغال Gaul. وقد بادر قيصر باتخاذ إجراءات حازمة ضد تلك القبائل وردّها على أعقابها. ومنذ ذلك الوقت، أصبح النهر هو الخط الذي يحدد حدود الإمبراطورية الرومانية. ولم يكن الأمر ليخلو من بعض المناوشات على الحدود، ولكن الرومان لم يقوموا بأي محاولة جديدة لغزو ألمانيا.

وفي المراحل التاريخية الأكثر حداثة، قامت منازعات عديدة بين فرنسا وألمانيا في سبيل السيطرة على ضفاف النهر. وتعتبر منطقة الألزاس Alsace واللورين Lorraine، أهم المناطق التي دار حولها الصراع العنيف بين الدولتين. كانت الألزاس واللورين في مبدأ الأمر تتبعان الإمبراطورية النمساوية، وفي القرن الثامن عشر احتلتهما فرنسا، غير أن ألمانيا استعادتهما في عام ١٨٧٠، لتعود دمرة أخرى إلى فرنسا في عام ١٩١٩، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

أسطورة لورلاي

على الضفة الشرقية لنهر الراين، أي في ألمانيا، توجد صخرة ترتفع من جوف النهر في اتجاه يكاد يكون رأسياً إلى مسافة حوالي ١٢٠ متراً، وتحدث أضواء صوتية غير عادية. وقد كانت هذه الظاهرة، سبباً في منشأ الأسطورة المعروفة باسم «لورلاي» Lorelei، وهو اسم لفتاة جميلة يقال إنها تغوي البحارة وتقودهم إلى حتفهم. وتحكي الأسطورة أن لورلاي تجلس فوق إحدى الصخور، ثم تغني وهي تمشط شعرها الأصفر الطويل، فلا يكاد البحارة يشاهدونها حتى يسحروهم منظرها، ويلتهمهم عن الالتفات للسيطرة على سفنهم، التي سرعان ما تصطدم بالصخور وتتحطم.





السفن من بلدان عديدة ، تقطع نهر الراين صعودا وهبوطا ،
حاملة البضائع والركاب .

الملاحة في نهر الراين

إذا كنت مبحرا خلال نهر الراين ، تستطيع أن تشاهد لوحات موضوعة على مسافات على طول الضفتين ، تحمل رقبا ورمزا . وآخر هذه اللوحات توجد عند نهاية الجزء من النهر الذي يصب في بحر الشمال بالقرب من نيوفى فاتفريج Nieuwe Waterweg ، والرقم الذي تحمله هو ١٠٣٠ كم . وهذا الرقم يدل على طول المسافة من النهر الصالحة للملاحة ، ابتداء من بحيرة كونستانس . والواقع أن نهر الراين يصلح للملاحة في معظم حوضه وفي معظم أوقات السنة ، وتعتبر بازل أولى موانئ النهر ، ومنها تبدأ الملاحة الحقيقية . وبازل هي ميناء سويسرا الوحيدة ، وعندما يقترب النهر من نهايته ، نجده يزدهم بالسفن وصنادل الشحن . وتصل حركة البضائع فيه إلى أكثر من ٩٠ مليون طن ، وهو رقم ضخم إذا ما قورن بما يقابله في ميناء جنوا Genoa ، حيث لا يتجاوز حجم البضاعة بها ١٤ مليون طن .

وأهم موانئ نهر الراين هي ميناء دويزبرج - روهرورت . Duisburg-Ruhrort ، وهي في الواقع أكبر ميناء داخلية في أوروبا ، وفيها يجري تفريغ حمولات ضخمة من الحديد الخام ، والزيوت ، والحبوب . والسفن التي تمخر عباب المحيط ترسو في كولونيا في مواعيد منتظمة . وتستطيع سفن الشحن حمولة ٥٠٠٠ طن أن تصل إلى مانهايم Mannheim ، أما السفن التي لا تتعدى حمولتها ٢٠٠٠ طن ، فتستطيع أن تصل إلى ستراسبورج . وفي الشتاء يحتتمل أن تتجمد مياه النهر ، فتتعطل الملاحة فيه لفترة قد تصل إلى شهر ، ومن مخاطر النهر الأخرى أنه قد يفيض في المنطقة الواقعة بين كولونيا والبحر .

هذا وقد يكون نهر الراين هو أكثر أنهار العالم حركة ، ففي كل يوم ترسو السفن في موانئ هولندا ، لشحن البضائع التي وصلت من مختلف المدن الواقعة على الراين ، أو لتفريغ البضائع التي تحملها ، لتوزيعها على مختلف مناطق حوض النهر .



منبع نهر الراين

يقع منبع هذا النهر في وسط مجموعة جبال سان جوتارد St Gotthard ، بالقرب من أواسط سويسرا .

ويبدأ النهر نفسه بالتقاء رافين صغيرين يطلق عليهما اسم الراين الأمامي والراين الخلفي ، وذلك بالقرب من ممر « أوبرالپ Oberalp » . ويمكن تقسيم النهر جغرافيا بعد ذلك الملتقى إلى ثلاثة مجار ، هي الراين الأعلى ، والأوسط ، والأدنى .

المجرى الأعلى - من المنبع إلى مدينة بازل

يبدأ جريان النهر في اندفاع فوق منحدر شديد الميل . ويترتب على ذلك الاندفاع تحت كميات كبيرة من المواد الصخرية كل عام (حوالي ٥ ملايين طن) ، يجرفها التيار شمالا حتى بحيرة كونستانس Constance (بودن سي) . وما أن يصل النهر إلى البحيرة ، حتى يبطئ مساره ، ويتسبب جزء كبير من المواد الصخرية المحروقة في القاع .

وبعد أن يغادر النهر بحيرة كونستانس ، يأخذ في التعرج خلال جبال جورا Jura وجبال الغابة السوداء Black Forest . وهنا ينحدر مجرى النهر انحدارا شديدا ، ويتخلله العديد من التيارات السريعة والمساقط ، إلى أن يصل إلى شافها وزن Schaffhausen ، ومن هناك ينحدر من ارتفاع يبلغ حوالي ٣٣ مترا . ويجرى النهر حتى مدينة بازل عبارة عن مسافات متباعدة من التيارات السريعة والمهادنة على التبادل . وقد كانت نتيجة ذلك أن الملاحة في هذا الجزء ، الذي يرسم الحدود بين ألمانيا وسويسرا ، أصبحت متعذرة .

المجرى الأوسط - من بازل إلى كولونيا

يتخذ النهر مساره من بازل Basle متجها نحو الشمال ، ويمر أولا وسط سهل فسيح تتخلله مستنقعات شاسعة . ومن بازل تمتد قناة تصلها باستراسبورج تسمى قناة الألزاس العظمى ، وهي تسير في خط مواز للمجرى الرئيسي للنهر .

وأهم المدن مثل مولهاوس Mulhouse ، وكولمار Colmar ، وستراسبورج Strasbourg ، وفريبورج Fribourg ، تقع على مسافة قليلة من النهر ، وتتصل به عادة بسلسلة من القنوات .

وتعد ستراسبورج العاصمة التقليدية للآلزاس ، ومنذ القرن السابع عشر كانت تخضع أحيانا للحكم الفرنسي ، وأحيانا أخرى للحكم الألماني . وفي عام ١٩٤٩ أصبحت مقر اجتماع المجلس الأوروبي ، حيث يجتمع ساسة أوروبا الغربية لمناقشة المسائل المشتركة . كما تشتهر ستراسبورج بجامعتها ، وبما تنتجه من « الفواجر Gras Foie » ، وهي عجينة تصنع من أكباد الأوز . وعند ماينز Mainz يتصل الراين بنهر المين Main ، ويأخذ اتساعه في التزايد من ١٨٥ إلى ٥٥٠ مترا .

وإلى الشمال ، تعترض الجبال السهل مرة ثانية ، فنجد مزارع الكروم والفواكه على مساطب الجبال ، تطل على مجرى النهر من كلا الجانبين . وعند كوبلنز Coblenz يتصل الراين بنهر آخر كبير هو نهر الموزل Moselle ، في حين تأخذ الجبال في التضائل إلى أن تصل إلى مستوى السهل بالقرب من كولونيا Cologne . ومن هنا يعود النهر العظيم مرة أخرى لاتخاذ مجراه عبر السهول .

المجرى الأدنى - من كولونيا إلى البحر

ابتداء من كولونيا ، يأخذ النهر مجراه في تدرج انحداري ضئيل ، ويسير في هدوء عبر منطقة الصناعة الرئيسية في ألمانيا . وابتداء من دوسلدورف Düsseldorf ، تغطي ضفتي النهر مجموعات ضخمة من المنازل ، والمصانع ، والمناجم ، والآبار ، وأفران الصهر . كما تتخلله شبكة هائلة من القنوات والطرق . والمدن ذاتها تتصل ببعضها بعضا ، ولا توجد بينها أى ثغرات زراعية . وتعد هذه المنطقة منطقة صناعية مثلى ، فيها كميات ضخمة من الفحم والحديد ، كما أن النهر نفسه يعتبر وسيلة نقل سهلة وقليلة التكاليف للحامات والمواد المصنعة .

ويدخل الراين إلى هولندا بالقرب من لوبيت Lobite ، وهناك يبدأ فوراً في تكوين دلتاه . وفي بعض المناطق ، نجد أن سهول الدلتا تنخفض عن سطح البحر أكثر من ٣ أمتار ، في حين أن مياه النهر وروافده تظل على نفس ارتفاع سطح البحر . لذلك كان من الضروري حصر مياه النهر بإقامة الجسور ، وهذه تتكون في العادة من جدران مزدوجة ، وأحيانا ثلاثية ، كما أن المنطقة كلها تتخللها سلسلة تحكيمية من الأهوسة والمضخات .

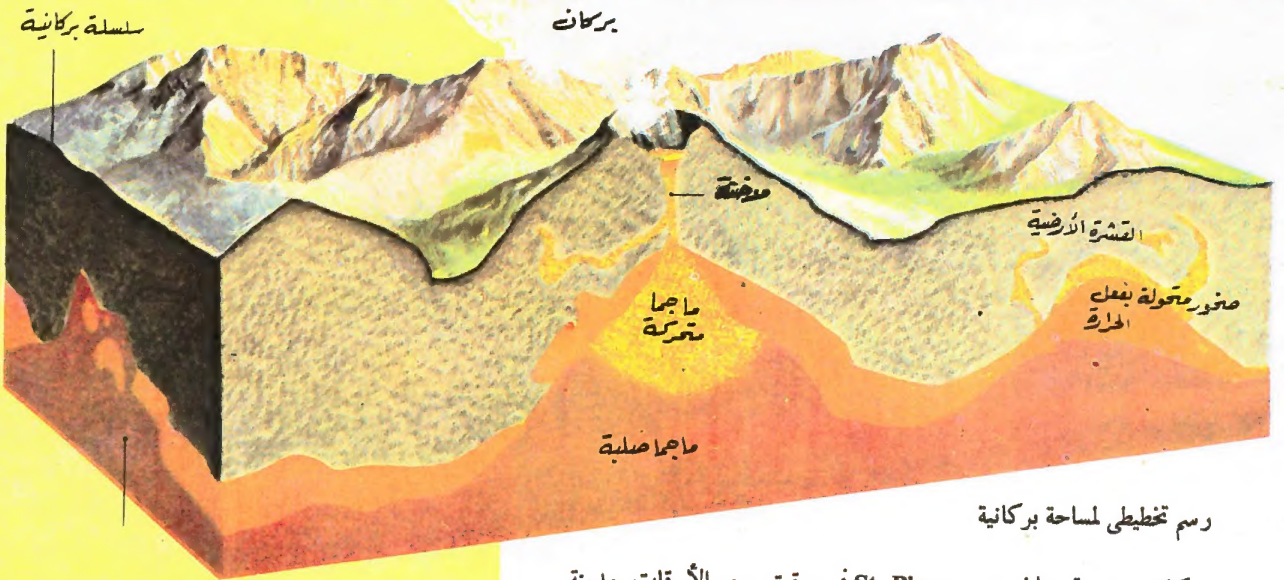
البراكين

والانفجار البركاني يحدث عندما يتزايد الضغط في الماجما، فتندفع المادة إلى أعلى ، مختربة إحدى المناطق الضعيفة في القشرة ، حتى تصل إلى سطحها الخارجي .

وعندما تشرع الماجما في الخروج ، يخف الضغط الواقع عليها لدرجة تجعلها تنصهر ، وفي طريقها إلى الخارج ، قد تؤدي إلى انصهار الصخور المجاورة لها في القشرة الأرضية ، أو تنتشر فيما بين الطبقات التي تتكون منها تلك القشرة . وفي الوقت نفسه ، فإنها تنفث أبخرة وغازات تستطيع أن تندفع إلى أعلى بقوة انفجارية .

الصفة التشرجية للبراكين

تري في الرسم أسفل رسما تخطيطيا لمتختلف أجزاء البركان . وتستخدم كلمة



رسم تخطيطي لمساحة بركانية



رسم توضيحي مبسط للقوى التي تتفاعل في أحداث الانفجار .

« ماجما » للدلالة على المواد التي في أقصى العمق ، فهي إذن ليست مجرد صخور منصهرة ، كما أنها أيضا مشبعة بالغازات لدرجة التركيز ، وهذه الغازات تظل في حالة الذوبان ، إلى أن يخف الضغط الواقع عليها من أعلى ، فتأخذ في الانتشار ، وأحيانا يكون اندفاعها على شكل انفجار . ولذلك فإن المواد المنصهرة التي اندفعت إلى السطح (الحمم أو اللافا Lava) ، لا تحتوى إلا على القليل من الغازات الذائبة ، كما أنها أقل حركة .

الجلبل البركاني ، وهو يتكون من تراكم الحمم ، وقد يكون مخروطي الشكل ، أو منبسطا ، وذلك عندما تنتشر الحمم في امتداد أفقي .

الفوهة Crater ، وهي الجزء الأخير من القناة التي شقها الماجما لنفسها في طريقها إلى السطح ، وهي عادة عبارة عن فجوة تراكم على حوافها الحمم المتجمدة .

المدخنة Chimney ، وهي الطريق الذي سلكته الماجما إلى السطح ، وهذا الطريق قد يكون مفردا أو متفرعا .

خزان الماجما ، ويقع عادة على مسافة حوالي ٣٢ كيلومترا من سطح الأرض ، وعلى مثل هذا العمق ، تكون الماجما في درجة حرارة شديدة الارتفاع (أكثر من ١٣٠٠°م) .

حياة براكات

عندما نتحدث عن النشاط البركاني ، فإننا نقصد جميع الظواهر Phenomena التي تتصل بانطلاق مواد الماجما من باطن الأرض إلى سطحها . إن الفوران العنيف الذي ينجم عن انبعاث الحمم الساخنة والأترية ، والغازات ، هو في العادة نهاية مرحلة

كانت مدينة سان بيير St Pierre في وقت من الأوقات مدينة مرحة وناجحة في موقعها على شاطئ جزيرة مارتيك Martinique ، إحدى جزر البحر الكاريبي . وكانت سان بيير تضم ٣٠,٠٠٠ من السكان ، وكانت تعرف أحيانا باسم « باريس جزر الهند الغربية » . وعلى مسافة حوالي تسعة كيلومترات منها ، كان يوجد بركان اسمه جبل بيلييه Pelée .

وفي يوم ٢ أبريل ١٩٠٢ ، أخذ البركان يلفظ أبخرة ورمادا . وفي المساء انتشرت فوق قمة الجبل سحابة من الدخان الأحمر ، كان منظرها ينذر بالشئ . أما في شوارع سان بيير ، فكان المارة يسمعون دمدمة مخيفة ، وصفيرا ، وأصوات انفجارات ، تنبعث من أعماق البركان . وقد زاد قلقهم عندما أخذ الرماد يكسو أنحاء المدينة بطبقة بلغ سمكها نحو ثلاثين سنتيمترا ، في حين اختلط الجو برائحة الكبريت .

وفي يوم ٨ مايو ثار البركان ، واندفع الفصح الساخن من جانب الجبل كأنه قذيفة مدفوعة ضخمة ، وانساب سحب متأججة من الغازات على سفوح الجبل بسرعة ١٦٠ كيلومترا في الساعة . وفي ثوان معدودة ، كان معظم سكان سان بيير قد لقوا حتفهم إما حرقا وإما اختناقا ، أما المباني فقد سويت بالأرض أو احترقت ، ويبلغ عدد القتلى ٤٠,٠٠٠ ، وكان الوحيد الذي بقي على قيد الحياة مجرم زنجي ، كان مسجوناً في قبو سجن المدينة الموجود تحت الأرض . ولم تنج السفن الراسية في الميناء من الكارثة ، فهي إما احترقت ، وإما غرقت بفعل الأمواج العنيفة التي أثارها مياه البحر ، التي بلغت درجة الغليان .

وسان بيير ليست إلا إحدى الكوارث الرهيبة المروعة ، التي نجمت عن الانفجارات البركانية . ترى ما هي تلك القوى الجبارة الكامنة تحت سطح الأرض ، والتي تسبب مثل هذه الكوارث التي تتخلع لها الأفتدة ؟ وما هو السر الذي يجعل مثل هذه الانفجارات البركانية من أشجع المناظر على سطح هذا الكوكب ؟

إن القشرة الأرضية تتكون من صخور خفيفة جامدة «طافية» فوق طبقة أخرى أثقل ، ولكنها أكثر ليونة (الماجما Mmaga) ، مثلما تتركز كتلة من الخشب فوق كمية من القار . ويختلف سمك الطبقة العليا من أكثر من أربعين كيلومترا تحت سلاسل الجبال ، إلى سمك لا يكاد يذكر في أحواض المحيطات . ويزداد الضغط والحرارة كلما تعمقنا تحت السطح الخارجي للأرض . والاعتقاد السائد أن باطن الأرض يتكون من مادة شديدة الكثافة ، في درجة حرارة عالية جدا . هذا ودرجة الحرارة عند قاعدة القشرة الأرضية لا عن ٧٠٠°م .



الحجم بغير جوانب الفوهة
عند السطح



البركان في حالة تهدوء
والفوهة مغلقة



المagma والغازات تخرج
طريقها إلى الخارج

نشاط قد تشمل على ثورات ، وانفجارات أصغر ، وهزات أرضية تكاد تكون مستمرة . والبركان الذي ثار في الأزمنة الحديثة يقال عنه إنه بركان نشط **Active** ، ويبدو ، من واقع الثورات التي أمكن تسجيلها على مدى فترة طويلة ، أنه لم يكن هناك ما يدل على ثوران بركان فيزوف قبل عام ٧٩ ميلادي ، عندما حدثت سلسلة من الهزات الأرضية ، كانت بمثابة إنذار بالثوران المفجع الذي دمر مدينتي بومبي **Pompeii** وهيركولانوم **Herculaneum** . وفي خلال الستة عشر قرنا التالية ، ثار بركان فيزوف عشر مرات فقط ، وكانت كل مرة تعقبها فترة هدوء طويلة ، إلى أن كان ثوران عام ١٦٣١ ، حين بدأ النشاط المستمر للبركان ، مع نشاط ذروة في كل فترة تتراوح بين ١٠ و ٤٠ سنة ، وقد كانت آخر ثورات الذروة لبركان فيزوف تلك التي حدثت في عام ١٩٠٦ . وفي عام ١٩٤٤ .

والثوران البركاني قد يتخذ عدة أشكال . فإذا كانت الماجما متماسكة ولزجة وتواجه عتبات كثيرة في طريقها إلى أعلى ، فإن الغازات قد تندفع على هيئة انفجار يشبه ذلك الذي حدث في جبل بيليه ، إذ تندفع الحمم إلى أعلى في شكل حصوات ، أو صخور ، أو رماد ، أو جمرات ، وتظل تغطي وجه السماء وهي متساقطة لفترة ما بعد بدء الانفجار . وتعرف هذه المواد باسم الصخور النارية . أما إذا كانت الماجما على هيئة سائل سهل الانسياب ، فإن الأمر قد يقتصر على تصاعد الغازات التي بداخلها إلى السطح ، على شكل فقاعات مصحوبة ببعض الانفجارات العنيفة . وعندما تتصاعد الحمم ، فإنها قد تكسو الفوهة أو قد تحترق التشققات **Fissures** الموجودة في جوانبها . وفي المراحل الأولى ، يمكن مشاهدة مناظر رائعة ، عبارة عن نافورات من الحمم ، تبدو أثناء الليل كأنها ستائر حمراء متوهجة من النيران . وبراكين جزر هاواي تنصرف بهذه الطريقة ، وترى إلى اليسار نافورة من الحمم في هاواي .

ثورة بركان كيلوا في هاواي عام ١٩٥٥ ، ظل عمود هائل من الحمم يتصاعد طوال ١٢ يوما .

أين توجد البراكين

من المعروف أن هناك ما يقرب من ٥٠٠ بركان نشط . وعلاوة على ذلك فهناك عدة آلاف من المخروطات البركانية ، تحتفظ بحالتها الأصلية كاملة ، ويجب علينا أن ندخلها في اعتبارنا ، عندما نحدد توزيع البراكين الحديثة . وتوجد معظم البراكين على طول الكتل الجبلية الحديثة ، المعروفة باسم الأحزمة النارية **Orogenic Belts** . ولذلك فإن كثيرا منها يوجد على حواف المحيط الهادى ، وقد أشار بعض الكتاب إلى هذه الظاهرة بقولهم إنها « الحزام النارى » للمحيط الهادى . ويمكن تتبع الثقوب البركانية على مسافات متناثرة على طول خط جبال الألب - الهمالايا ، كما أنها تتصل بخط الوديان التشققية الذي يمتد من الأردن إلى شرق أفريقيا . والنشاط البركاني ، حيثما وجد ، يستغل الالتواءات التي تحدث في القشرة الأرضية ، فعلى طول أكثر هذه الالتواءات عمقا - أحزمة الجبال الالتوائية والارتكازات العميقة - نجد معظم البراكين الحديثة في العالم .

الأنواع المختلفة للبراكين

تنقسم البراكين إلى عدة أنواع حسب عدد فوهاتها ، وتباين أشكالها ، وهي موضحة في الرسوم التالية :



بركان تحت الماء



الخط الواصل إلى



هطول فليجيريان



رانتا



فيزوف

نمط جزر هاواي : تعتبر جزر هاواي جبالا بركانية ، قامت على ارتفاع حوالى ٤٥٠٠ متر فوق قاع المحيط ، ولا ترى منها سوى القمم . ويؤدى التبريد السريع للحمم تحت سطح البحر ، إلى حدوث ما يسمى بالوسائد الحممية .

نوع هاواي **The Hawaiian Type** : ويلفظ هذا النوع من البراكين حمما متحركة ولكن في هدوء . والفوهة هنا تتسع نتيجة انهيار جدرانها إلى الداخل ، وتسمى كالديرا **Caldera** ، وتمتلئ هذه الفوهة ببحيرة من الحمم التي تصدر فقاعات .

حقول فليجيريان **The Phlegrian Fields** : وهي منطقة فريدة تقع بالقرب من فيزوف ، وبها ما لا يقل عن ١٩ فوهة منفصلة ، منتشرة في مساحة حوالى ٦٤ كيلومترا مربعا . وكثير من هذه الفوهات يلفظ غازات ، ولكن بعضها الآخر أصبح الآن بحيرات جميلة .

براكين جبل إتنا : رهننا أيضا نجد فوهة رئيسية واسعة ، ولكن يتفرع من المدخنة عدد من الفروع المنفصلة ، وتحدث انفجارات من وقت لآخر ، عندما تفتح فتحة في جانب المخروط نفسه بقوة اندفاع الحمم .

النوع الفيزوفي : ويبدو أن لهذا النوع من البراكين نوعا واحدا من الثوران . فالحمم التي يقذفها ذات قوام لزج ، وفي أثناء الثوران قد تحدث انفجارات قوية . والبركان الفيزوفي فوهة واسعة ، يقوم في وسطها مخروط ثانوى مكون من الرماد البركاني .

الفراولة

عندما نقطف الفراولة Strawberry، يتصور معظمنا أننا نقطف ثمرة النبات، أما عالم النبات فيقول: كلا إن ما نقطفه ليس بالثمرة على الإطلاق، وإنما هو تحت الزهرة Receptacle، أي القاعدة المنتفخة للزهرة. ولا شك أن الفراولة ثمرة في اللغة العادية الدارجة، بيد أنه يجدر بنا أن نعرف أنها ثمرة من نوع خاص في تركيبها ونموها.

أنواع الفراولة

هناك ثلاثة أنواع من الفراولة جذيرة بالذكر. النوع الأول هو الفراولة الصغيرة البرية واسمها العلمي فراجاريا فسكا *Fragaria vesca*، وهي نبات شائع الوجود في الغابات، وثمرتها شبيهة الطعم، إلا أنها صغيرة الحجم، مما يجعل جمع ملء الكف منها أمراً شاقاً (إننا نتكلم الآن عن الثمرة باللغة الدارجة، وليس بلغة علم النبات). والفراولة الجبلية *Alpine Strawberry*. وهي سلالة من فراجاريا فسكا، تنمو على جبال جنوبي أوروبا، وهي تستزرع أحياناً من أجل ثمارها. وهي نبات متسلق، يستمر في الإزهار والإثمار من شهر مايو حتى الخريف، وثمرتها أكبر من ثمرة السلالة البريطانية البرية، ولكنها رغم ذلك أصغر كثيراً من فراولة الحدائق.

وفراولة الحدائق *Garden Strawberry* نبات هجين *Hybrid*، نشأ في فرنسا في القرن الثامن عشر، نتيجة تزاوج بين نوعين أمريكيين، وقد تحسنت صفاتها منذ ذلك الحين عن طريق الانتخاب *Selection* وانتج عدد كبير من السلالات. وتشير كلمة *Strawberry* إلى عادة الزراع في وضع القش *Straw* حول النباتات، كي يرفع الثمرة عن الأرض، فيحتفظ بها نظيفة. على أنه ينبغي ألا يفوتك أنه رغم قدرة النباتات على التحمل، فإن الأزهار لا يمكنها مقاومة الصقيع. وعندما يكون هناك إنذار بصقيع أثناء إزهار النباتات، فإنك يجب حينئذ أن تغطيها بملاءة. والفراولة عموماً، ثمرة ممتازة صحية، ولو أن هناك بعض سيء الحظ الذين لا يمكنهم تناولها. وتسبب الثمرة عند هؤلاء الأشخاص حكة قوية في الجلد أو ارتيكاريا *Urticaria*، وأيضاً اضطرابات في المعدة أحياناً.

النبات

الفراولة نبات عشبي *Herbaceous*، معمر *Perennial*، ينتمي للفصيلة الوردية *Rosaceae*. والآن دعنا نلقي نظرة على الرسم الموجود على اليسار. إن الجذور ليفية *Fibrous*، والساق لاتعلو فوق سطح الأرض، ولذلك فهي تصنف على أنها ريزوم *Rhizome*، وهو اصطلاح معناه ساق أرضية *Underground Stem*. ومن الريزوم تنمو الأوراق، وأعناق الأزهار، وكذا السيقان الرائدة *Stolons* أو الجارية *Runners*، التي هي عبارة عن سيقان ترحف على سطح التربة. والأوراق من النوع الذي يوصف بأنه ثلاثي الوريقات *Trifoliate*، لأن كل ورقة تتألف من ثلاثة أجزاء تسمى وريقات.

أما عن الزهرة، فإنك ستشاهد من الرسم الموجود أعلاه أن الزهرة لها كأس *Calyx*، مكونة من خمس سبلات *Sepals*، وكذا فوق كأس *Epicalyx* من خمس قنابات *Bracts* يبدو منظرها كما لو كانت كأساً إضافية، وتويج *Corolla* من خمس بتلات *Petals*، وعدة أسدية *Stamens*، وكرابل *Carpels*، محمولة كلها على الطرف المنتفخ لعنق الزهرة، الذي يسمى التخت *Receptacle*. وهذا التخت هو الذي ينتفخ بعد الإخصاب ليكون ما نسميه الثمرة. غير أنه لابد من وجود ثمرة حقيقية *True Fruit* من وجهة النظر النباتية، فأين هي؟ والجواب هو أن كل بذرة من البذور الدقيقة *Pips* التي توجد على سطح ثمرة الفراولة، عبارة عن ثمرة وحيدة البذرة *One-seeded*، من النوع الذي نعرفه باسم الفقيرة *Achene*.

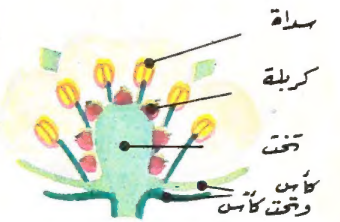
تكاثر الفراولة

ترسل السيقان الجارية الزاحفة فوق سطح الأرض جذورا إلى أسفل في نقط خاصة تسمى العقد *Nodes*، ثم تنمو الأوراق إلى أعلى من نفس الأماكن، وبذلك تتكون نباتات صغيرة. وحينما يستتب الأمر للنبات الصغير، يمكن قطع الساق الجارية، وبعد ذلك يمكن شتل *Transplant* النبات الجديد إلى حيث نريد.

يعطى هذان الرسمان فكرة عن فارق الحجم بين فراولة الجبال، وفراولة الحدائق.



نبات الفراولة



مقطع في زهرة فراولة



الزهرة من أسفل



تعایش بین النباتات والحیوان

وبذلك يتم تأمين النبات ضد هجمات الحيوانات آكلة النبات Herbivorous، ويحصل النمل في مقابل ذلك على مكان أمين لبناء عشه . ولو أنك فحست أوراق شجرة بلوط Oak في الصيف ، فإنك كثيرا ما تجد ورقة التصقت بها نموات Growths تشبه الأطباق . وتعرف هذه النموات باسم عفصات الترت (Spangle Galls) العفصة ورم يصيب النبات نتيجة إصابته بحشرة أو فطر) ، وهي نتيجة تحالف غريب بين الشجرة وحشرة دقيقة جدا . ذلك أن أنثى زنبور العفص Gall Wasp تضع بيضها داخل نسيج الورقة ، فتفقس البيضات لتعطى يرقات Larvae ميكروسكوبية الحجم أو دويدات Maggots ،



عفصات الترت المتكونة على أوراق البلوط ، بفعل يرقات زنبور دقيق .

يوثى وجودها إلى نمو الورقة نموا غير طبيعي ، تنتج عنه العفصة Gall . وتعيش اليرقة وتتغذى داخلها . وفي الخريف تسقط العفصات الصغيرة المفلطحة على الأرض ، حيث تقضى الشتاء ، ثم يفقس منها جيل جديد من الزناير في الربيع . وهذا مثال للتطفل ، لأنه لما لاشك فيه أن شجرة البلوط لا تستفيد منه شيئا . وتوجد العفصات على نباتات وأشجار أخرى كثيرة غير البلوط ، وتكون ناتجة عن عدة أنواع من الحشرات ، والسوس Mites ، والبكتيريا Bacteria ، وأنواع من الفطر Fungus .

ضروري للحياة



ونمة مثال نموذجي للتعایش المشترك ، وهو تعایش بين الحيوان الصغير الذي يعيش في الماء العذب والذي يعرف باسم كلوروهيدرا Chlorohydra viridissima ، والنباتات الطحلبية Algae الدقيقة التي تعيش في أنسجته . إذ تمتص الطحالب الإفرازات النيرة وچينية للحيوان وتتغذى عليها ، وهي كذلك تمتص ثاني أكسيد الكربون . الذي تحوله عن طريق البناء الضوئي Photosynthesis إلى أوكسيجين وكر بوهيدراتات Carbohydrates ، وهي مواد لازمة لبقاء الحيوان حيا .

تكون بعض الأزهار مهيأة بحيث يمكن إخصابها بواسطة أنواع معينة من الحشرات ، التي تزورها لجمع الرحيق Nectar . ويعتبر هذا نوعا من الارتباط أو التعایش Association بين النباتات والحيوانات يستفيد منه الطرفان . غير أنه ، في الواقع ، ليس سوى ارتباط عابر Passing أو مؤقت Temporary ، فالحشرة تزور النبات ولا تحدث المعايشة في غير موسم الإزهار . إلا أنه توجد أنواع من التحالف Alliances أكثر دواما بين النباتات والحيوانات ، يصفها البيولوجيون بأنها حالات من التعایش المشترك Symbiosis (وهي تعني ببساطة التعایش سويا Living Together ، مشتقة من اليونانية Sym بمعنى معا و Bios بمعنى حياة) . وتوجد ثلاثة أنواع من التعایش المشترك : (١) نوع يستفيد فيه كلا الطرفين ؛ (٢) نوع يكون فيه الغذاء أو المكان مشتركا دون منفعة (أو ضرر) ظاهرة لكلا الطرفين ، (٣) التطفل Parasitism حيث يعاني أحد الشريكين ، الذي يسمى العائل Host ضررا من الشريك الآخر .



ميرميكوديا ، نبات استوائي يأوى النمل داخل ساقه .

والنبات الغريب الموضح على اليمين هو نبات ميرميكوديا Myrmecodia . يأتي النمل إلى النبات عندما يكون في حدائه ، ويثقب ساقه فيؤدي التهيج Irritation الذي يحدث ، إلى انتفاخ الساق . وبعد ذلك يفرغ النمل ما في داخل الساق وينشئ عشا فيها ، وهي عملية لا تؤثر في سلامة النبات أو نموه إطلاقا . وإذا لمس شيء ما العش ، فإن النمل يخرج جحافله ، تستخدم إبرها ، في الدفاع عن بيتها ،

الهضم .. بمساعدة البكتيريا

إننا عادة ما نتصور البكتيريا كأعداء لنا ، على الأقل ما يعيش منها داخل أجسامنا . حقيقة أن كثيرا منها تسبب أمراضا خطيرة ، إلا أن بعضها ، الذي يقطن في أمعاء الحيوانات ، يلعب دورا مفيدا أو أساسيا في حياة عائلها . إن معظم غذاء الحيوانات آكلة العشب Herbivorous يتألف من مادة تسمى السيلولوز Cellulose ، الذي يكون جذر خلايا النباتات . وهو مادة عسرة الهضم جدا ، ولا يمكن لمعدة الحيوان إذابته . غير أنه يتحلل بواسطة بكتيريا خاصة تعيش في أمعاء الحيوان ، مما يمكنه من الحصول على الفائدة الكاملة من الغذاء . ويوجد هذا النوع من التعایش في كثير من الثدييات Mammals آكلة العشب كالماشية والأغنام ، وكذلك بين الحشرات التي تعتبر مثالا جيدا آخر للتعایش .

وهناك أيضاً بكتيريا نافعة ؛ تعرف إجمالاً بالفلورا المعوية Intestinal Flora ، تعيش في أمعاء الإنسان . وهي تتغذى على غذائنا الذي هضم جزئيا ، وتنتج ، أثناء قيامها بعملها الحيوية ، فيتامينات تمتصها ، وتعتبر ضرورية لصحتنا .

عضو يحتوي على مستعمرة من البكتيريا المضيئة

سمكة الشفص



كثير من أسماك البحار العميقة لها أعضاء مضيئة Luminous Organs . وكثيرا ما ينتج هذا المنظر ليس عن طريق الأسماك ذاتها ، وإنما بواسطة بكتيريا مضيئة (كائنات دقيقة تعرف أحيانا بالميكروبات) ، تعيش في أنسجتها .

الملك ألفرد والدانيون



جاء أول الغزاة الدانيون في مجموعات صغيرة بقصد السلب والنهب ، وترى هنا الأنجلو ساكسون وهم يردون الدانيون على أعقابهم بنجاح .

وفي عام ٨٣٥ ، قامت قوة كبيرة من الدانيون (الدانياركيين) Danes بغارة مخططة على جزيرة شيبي Sheppey ، وتقع عند ملتقى نهر الميدواى Medway بنهر التيمس Thames . ومنذ ذلك الوقت ، أخذ الدانيون يستقرون في الأماكن التي يهبطون بها طيلة فصل الشتاء . لم يكن أحد يعرف أين ستقع الضربة التالية من الدانيون . وفي العام التالي كانت أهدافهم تمتد من مستنقعات رومني Romney في مقاطعة كنت Kent ، إلى إيست أنجليا East Anglia ولندسي Lindsey ، ولم يكن الدفاع المحلي ليتجاوز أقصى ما كان باستطاعة أى عمدة يتمتع بالشجاعة وحسن التدبير أن يعده إعدادا سريعا . ومع ذلك لم يتقدم أحد لينظم أى مقاومة متحدة . وقد بدا في ذلك الوقت أنه من المحتمل ، إذا ما قرر الدانيون أخيرا أن يأتوا بجيش كبير ، وأن يقيموا إقامة دائمة في إنجلترا ، أنه لن يكون هناك ما يمنعهم من الاستيلاء على البلاد بأكملها .

بداية الأمر للنهب ، متلصصين في أرجاء الشواطئ المنخفضة بشرق إنجلترا إلى روافد النهر . كما أنهم أبحروا بسفنهم حول مخور شمال سكتلند ، وهي منطقة ساحلية قريبة الشبه بشواطئ النرويج ، للإغارة هناك على دير آخر في جزيرة



ألفرد ، ملك إنجلترا ٨٤٩ - ٨٩٩ .

أخرى ، ذلك هو دير أيونا Iona . كانوا يجيئون صيفا ، ويعودون في الخريف ، قبل أن يجل موسم العواصف الشتوية ، مخلفين وراءهم أطلال المنازل الريفية والدخان يتصاعد منها ، ومحاريب الكنائس وقد تعرت من تحفها ، هذا فضلا عن جثث القتلى .

أما الأنجلو ساكسون فلم يبدو سوى قدر ضئيل من المقاومة المنظمة ، وذلك لانغماسهم في مشاغلهم الخاصة والحروب المحلية التي أعقبت وفاة أؤفا العظيم في عام ٧٩٦ . وهكذا وجد الغزاة أنفسهم في حل من التجول كيفما شاءوا ، يلقون الرعب في القلوب أينما حلوا . ومع ذلك فإن مرسية ظلت تحارب ساكسون الغربية West Saxon ، من أجل غلبة لم تكن لتجدي المنتصرين شيئا ، إذا ما قرر الوثنيون التحول من الإغارات المتفرقة إلى الغزو المركز .

« في عام ٧٩٥ م . ، بدت نذر الشر في سماء نورثمبريا Northumbria ، وساد الرعب قلوب الأهالي المساكين ، فقد كانت هناك ومضات غير عادية من البرق ، وشوهدت بعض التينينات الشرسة وهي تطير في الهواء . وقد أعقبت هذه النذر مجاعة شديدة ، وبعدها بقليل وفي نفس العام ، كانت إغارات الوثنيين قد تسببت في دمار الكنيسة المقدسة في لندزفان Lindisfarne عن طريق النهب والتدبيح » .

كان عام ٧٩٥ ذاك ، بعد وفاة بيدو Bede المؤرخ العظيم بستين عاما ، وقبل وفاة أؤفا Offa ، ملك مرسية Mercia بعام واحد . كان أؤفا هو ذلك الرجل الذي بذل الكثير في سبيل تحقيق بعض الوحدة بين ممالك الأنجلو ساكسون المتحاربة ، وكان دير لندزفان الذي يقع على جزيرة صغيرة بالقرب من شاطئ نورثمبريا ، قد أنشأه سانت إيدان St Aidan منذ ما يزيد على قرن ونصف ، قبل أن يتعرض لهذا المصير المؤلم الذي جاء وصفه أعلاه ، في عبارات صحيفة أنجلو ساكسون كرونكل .

كان الدير Monastery مركزا للنشاط الذي كان ينطلق نحو شمال إنجلترا لبحث الأهالي على اعتناق المسيحية ، ولم يكن من الأماكن المحصنة . وكان الشاطئ الشرقي لإنجلترا قد ظل لفترة طويلة ينعم بالهدوء من إغارات الغزاة . وبالنسبة لإيدان Aidan وأصدقائه ، كان لهذا الشاطئ ميزة مزدوجة ، فهو آمن ، وفي الوقت نفسه بعيد عن العالم . وفجأة وبدون سابق إنذار ، أغار عليه الوثنيون ، يعملون النهب والسلب في نفائس الدير ومقدساته ، ويحملون معهم الثروات والكنوز إلى موطنهم عبر البحر .

الوثنيون الدانيون

كانت تلك هي الطريقة التي عرفت بها الشعوب الإسكندنافية لأول مرة في تاريخ إنجلترا . كان مجيئهم في

جاءت الضربة المتوقعة في عام ٨٦٥ ، وقد كتبت صحيفة أنجلو ساكسون تقول : « في هذا العام ، وقد على إنجلترا وافد عظيم ، وأقام معسكره الشتوى في إيست أنجليا ، وهناك قدمت له الخيول ، وعقد معه عقد سلام » .

كان الأنجلو ساكسون يطلقون على هذا الوافد اسم «ميكيل هير Micel here» . أما في التاريخ فيعرف عادة باسم «الجيش العظيم» . وكان في تلك الفترة قد جاء ليبقي . كان هذا الجيش بقيادة اثنين من مشاهير المحاربين وهما إيفار الملقب «بالخال من العظام Ivar the Boneless» وهالفدان Halfdan ، وقد ظل هذا الجيش يحجب أنحاء إنجلترا الشرقية ، صعودا وهبوطا ، طيلة خمسة عشر عاما في سلسلة من المعارك النظامية .



هناك كثير من الأساطير التي نسجت حول رسم ألفرد ، ومن أشهر الروايات في هذا الصدد قصة الملك ألفرد والقطائر . فبينما كان ألفرد يحارب الدانين ، لجأ إلى كوخ إحدى الفلاحات للاستراحة . وقد طلبت منه المرأة أن يلاحظ القطائر التي كانت في القرن ، ثم غادرت الكوخ لبعض شأنها . وعند عودتها ، كان الملك يغط في النوم ، في حين احترقت القطائر . وهنا ثارت المرأة ، وبينما هي توبخ الملك ، دخل أحد أتباعه وحياء التحية الملكية . وقد شعرت المرأة عند ذلك بالحرج الشديد ، في حين اعتبر ألفرد أن الموضوع كله لم يكن سوى نكتة لطيفة .

وقد توجه الجيش العظيم أولا إلى يورك ، التي استولى عليها في شهر نوفمبر عام ٨٦٦ . كان النورثمبريون في ذلك الوقت في خضم إحدى حروبهم الأهلية ، وبلغ بهم الضعف حدا لم يتمكنوا معه من إبداء مقاومة تذكر . زحف الجيش العظيم بعد ذلك إلى مرسية متجنباً ، بقدر كبير من ضبط النفس ، محاولة الأهالي استدراجهم إلى معركة مكشوفة .

وفي عام ٨٦٩ ، هم الجيش العظيم شطر إيست أنجليا مرة ثانية ، وقتل ملكها إدموند ، الذي خلدت ذكره بعد ذلك كشهيد ، وأطلق اسمه على بوري سانت إدموندز Bury St Edmunds في سافولك Suffolk . وفي عام ٨٧٠ ، تحرك الجيش العظيم لمواجهة ويسكس Wessex ، واتخذ لنفسه قاعدة في وادي التيمس عند ريدنج Reading .

ألفرد ، ملك ويسكس

وأخيرا حان الوقت الذي كان على الجيش العظيم أن يوقف فيه تقدمه . ففي مراعي بيركشير Berkshire الواقعة إلى الغرب من ريدنج ، تقابل مع جيش من الساكسونيين الغربيين واضطر للقتال . وقد هزم الدانيون في هذه المعركة ، وأحرز الساكسونيون الغربيون النصر ، بقيادة ملكهم أيثلرد Aethelred وأخيه ألفرد Alfred . وبعد هذه المعركة بوقت قصير ، اعتلى ألفرد عرش

ويسكس خلفا لأخيه . وكان مقدرا منذ تلك اللحظة أن يقضى كل حياته في معارك لا تتوقف ضد الغزاة الإسكندنافيين . وقد أظهرت تلك المعارك أن ألفرد كان واحدا من أعظم الجنود الذين أنجبهم تلك الجزيرة .

كانت موارد ألفرد في بداية الأمر ضئيلة ، وسرعان ما اضطر للراجع إلى المناطق الأكثر خشونة من مملكته ، إلى الغرب من غابة سلوود العظيمة Selwood . وفي عام ٨٧٨ ، التجأ مع عدد قليل من أنصاره المخلصين إلى جزيرة أثلني Athelney ، في وسط مستنقعات سومرست Somerset ، بينما كان جزء من الجيش العظيم بقيادة جوثروم Guthrum يقبع مترقبا فرصة الانقضاض عليه عند قاعدته في تشيبنهام Chippenham في ويلتشاير Wiltshire .

وفي ذلك الوقت ، كانت معظم ممالك إنجلترا ، فيها عدا ويسكس ومرسية الغربية ، قد سقطت في أيدي الدانين ، ولابد أن معظم الإنجليز كانوا يعتقدون أن مملكة ألفرد هي الأخرى لابد أن تلاق نفس المصير . إلا أن ألفرد لم يفقد إيمانه إطلاقا . ففي نفس ذلك العام (٨٧٨) ، خرج ألفرد من مملكته في المستنقعات ، وجمع أنصاره من هامبشاير Hampshire وويلتشاير ، وأجبر الدانين على الاشتباك معه عند إيدنجتون Edington ، على بعد ٢٤ كيلومترا جنوب تشيبنهام ، وهناك ألحق بهم هزيمة منكرة . « وبعد ذلك قدم له الدانيون رهائن وأقساما غليظة على أنهم سيرحلون عن مملكته ، واعدين ، فضلا عن ذلك ، أن يتلقى ملكهم تعميده في الكنيسة ، وهو وعد قاموا بالوفاء به . » وهكذا انتصر ألفرد . وفيما بعد عقد هو وجوثروم معاهدة بمقتضاها جعل الحد الفاصل بين إقليميهما ، الطريق الروماني القديم المعروف باسم شارع واتلنج Watling ، وإلى الشرق من هذا الطريق ، كانت الأراضي التي عرفت فيما بعد باسم دينلو Danelaw . وإلى الغرب منه تقع ويسكس ومرسية الإنجليزية .

وهكذا ، فإن الدانين في الواقع لم يسيطروا على إنجلترا سيطرة كاملة في أي وقت . غير أنهم بقوا مستقرين في الأراضي التي سمح لهم بها ، وإلى يومنا هذا نجد أسماء عديدة لأماكن في منطقة دينلو القديمة تدل على إقامتهم المستديمة هناك . أما فيما يخص الإنجليز ، ففي وقت الشدة ذلك ، وجدوا لأنفسهم زعيما جديدا في شخص ملك ويسكس .

وقد توفي ألفرد في عام ٨٩٩ ، أي بعد انتصاره العظيم بواحد وعشرين عاما ، وخلال كل ذلك الزمن ، لم يجد ألفرد الكثير من الراحة ، إذ أنه ظل مشتبكا في صراع دائم مع القوات الدانية . غير أن خلفاءه تحولوا من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم ، وما أن حل أول النصف الثاني من القرن العاشر ، حتى كانوا قد سيطروا على دينلو بأكملها ، ووطدوا حكم ويسكس وحدها على معظم أنحاء إنجلترا .



كان ألفرد شديد الاهتمام بالتعليم ، وكان ذلك من الأسباب التي جعلت منه ملكا عظيما . وتراء في هذه الصورة وهو يعلم أبناء النبلاء في مدرسة القصر .

تاليران ، أمير السياسة وسعة الحيلة



وليم بيت

وقد عبر المانش ثلاث مرات ليواجه بالفشل في كل مرة. إذ كانت الحكومة البريطانية تحجم عن قبول وساطة ذلك الثائر الحديث، ومن جهة أخرى فإن المهاجرين الفرنسيين عملوا على تشجيع الحكومة البريطانية على رفض المفاوضات مع رجل لا يحظى بتقديرهم.

وهنا يجد السفير العائر الحظ أن مكائده قد ردت إلى نحرة، وأصبح منبوذاً من كلا الطرفين. فقد استبعدته ولیم پت William Pitt من إنجلترا، ونفاه الفرنسيون من فرنسا، فلم يجد أمامه سوى الإبحار إلى أمريكا على الباخرة «وليم بن». وبعد أن نجا بأعجوبة من الأعاصير أثناء الرحلة، وصل إلى فيلادلفيا في شهر فبراير ١٧٩٤،

وبقي هناك عامين، وجد نفسه خلالها عاجزاً عن التأثير المباشر في السياسة الأوروبية، فكرس كل وقته لإعادة تكوين حياته. وقد ظل على علم بمجريات الأحداث في فرنسا، عن طريق التراسل المنتظم مع مدام دي ستال Madame de Staël، إلى أن أخطرت في عام ١٧٩٦ بأنها نجحت في استبعاد اسمه من قوائم المهاجرين، وأن الوقت قد أصبح ملائماً لعودته. وما أن وصل إلى باريس حتى كان نفوذ مدام دي ستال وتأثيرها على بارا Barras في حكومة الإدارة، سبباً في تعيينه وزيراً للشئون الخارجية في يوليو ١٧٩٧.

أمير بنيفان والإمبراطور

لقد صرح نابليون في عام ١٨١٢ أثناء وجوده في كولنكورت Caulaincourt بأن «تاليران هو أحد الذين أسهموا بقدر كبير في إرساء قواعد دولتي»، وهذا صحيح. فبعد أن عين وزيراً في حكومة الإدارة، لم يكن أمام «الديكتاتور الأعرج»، كما كان يدعوه أعداؤه، إلا العمل على سرعة إسقاطها. وفي هذا السبيل، أخذ يوطد علاقاته مع بوناپرت، الجنرال الشاب، الذي أخذت شعبيته في التصاعد، ويعد للانقلاب. وقد كان الثمن الذي حصل عليه تاليران من هذه المؤامرة في صبيحة اليوم الثامن عشر من شهر الثورة برومير، هو وزارة الشئون الخارجية.



نابليون الأول

وسرعان ما تولد بين نابليون، الغازي، وتاليران الذي كان يعارض التوسع الإقليمي «هذا الاغتنصاب للسلطة وللمهارات» نوع من التعاطف القائم على التقدير المتبادل. وقد أصبح الوزير، نتيجة للمكاسب التي تربت على معاهدات صلح لونفيل Lunéville، وأميان Amiens، وپرسبورج Presbourg هو المنفذ لرغبات الإمبراطور. وفي عام ١٨٠٤، عين كبيراً للأمناء، ثم أميراً لبنيان Bénévent، وأخيراً ناخباً أعظم. ولكن كل ذلك لم يمنعه، كما كان دأبه دائماً، من أن يحاول التنبؤ بالمستقبل، فنجدته ينتهز فرصة مؤتمر إرفورت Erfurt الذي عقد بين نابليون واسكندر الأول، لكي يستعرض مع القيصر احتمال انهيار الإمبراطورية، وبذلك كسب لنفسه عطفاً لم يكن ليعدم فائدته. وفي ٢٨ يوليو ١٨٠٩، علم نابليون بالمؤامرة التي يديرها تاليران بالاشتراك مع فوشيه Fouché، فثار غضبه ثورة جامحة، غير أن نابليون بعد أن هدأت ثورة غضبه، وعاد للتفكير في أن مثل هذا الخائن قد يكون ذا نفع له، اكتفى في عقابه بعزله من منصب كبير الأمناء.

فوشيه



وهنا يبدأ تاليران في انتظار ساعته ويستعد لها، وذلك بالاتصال كتابة بالرجل الذي كان مقدراً أن يصبح لويس الثامن عشر.

عودة آل بوربون

ما أن سقطت الإمبراطورية، حتى كان تاليران قد استنفذ ثمار خيائنه. ففي ٣١ مارس ١٨١٤، قام باستقبال اسكندر الأول في مسكنه بشارع سان فلورنتين. وهناك تمكن من إقناعه بالتوقيع على تصريح، سبق إعداده، ينص فيه بوضوح على أن



شارل موريس دي تاليران پيريجورد، أمير بنيفان. وسليل أسرة من أقدم الأسر الفرنسية، أسرة الكونتات أمراء پيريجورد.

صاح الكونت دي تاليران وهو يطل من النافذة ويراقب ابنه وهو يلعب في الحديقة: «يا إلهي، إنه يعرج!». كان عمر شارل - موريس الصغير لا يكاد يتجاوز الرابعة. وكان في طريق الإبلال من آثار سقطة عنيفة، وقد أمكنه بمهارة فائقة، وضبط نفس، أن يخفي ما أصابه منها من عرج عن ذويه طيلة عدة أيام. لقد ولد شارل - موريس موهوباً بالقدرة على الإصحاء، وبذكاء

لامع سابق لأوانه، وقد تمكن على مر الأعوام أن ينمي مواهبه، ويستخدمها في مجال السياسة. كانت عبقريته الحقيقية تكمن في القدرة على تدبير المكائد، مقرونة بالتحلل الكامل من كل قانون أخلاقي. وقد ساعدته هذه العبقرية الشاذة، فضلاً عن الثراء والجاه، على أن يؤثر في مصير فرنسا، بل وفي مصير أوروبا كلها.

فتيس سان دنيس

كانت إرادة والديه، والنصائح المتكررة لعمه وولي أمره، الذي كان مساعداً لرئيس أساقفة قرميس، كافية لإجبار شارل - موريس على قبول الانخراط في سلك الكهنوت. كان الشاب الذي سيصبح قس أبراشيه پيريجورد Périgord قد أتم دراسته بجامعة السوربون، وحصل على شهادة التخرج، ولكنه لم يكن يشعر بأي اهتمام بالمسائل الدينية. كان اهتمامه، على العكس، يتركز في شعوره بأنه يجب أن يتمتع، على حد قوله: «بمهاج الحياة».

وفي يناير ١٧٨٩، أي قبل اندلاع الثورة ببضعة شهور، كان الكونت دي تاليران Comte de Talleyrand وهو على فراش الموت، يشعر بالقلق على مستقبل ورثته الطائش، فحاول أن يوطد مركزه، ونجح في تعيينه أسقفاً لأوتان Autun.

أسقف أوتان والثورة

لم يكن اهتمام الأسقف الجديد بالشئون الدينية مما يذكر إلى جانب اهتمامه بالشئون السياسية. وقد أدرك قيمة الدور الذي يمكن أن يلعبه باستغلال وظيفته الكهنوتية، فعمل على أن ينتخب نائباً عن رجال الدين في مجلس طبقات الأمة عن دائرة أوتان، وبذلك ترك الأسقفية نهائياً، ولم يكن قد مضى على إشغاله لها سوى شهر واحد.

ومنذ تلك اللحظة أخذ يشعر بقرب هبوب أعاصير الثورة، فهو لا يتردد في أن يكون داعياً للأفكار الجديدة. وقد تمكن بصفته عضواً في الجمعية التأسيسية من أن يشترك في احتفالات الوحدة في ١٤ يوليو ١٧٩٠. واستمر تاليران في هذا المنهج، فأخذ يدبر المكائد في صالح تأميم ممتلكات رجال الدين.

السفير العاشر الحظ

بالرغم من الخدمات العديدة التي أداها تاليران للعهد الجديد، فإنه كان يفكر في قرارة نفسه بأن الحكمة تقتضيه أن يكون دائماً على استعداد للنجاة. وفي هذا السبيل تمكن من أن يحصل على تكليف له بالوساطة لدى إنجلترا، على أساس أن يحقق التحالف معها، أو على الأقل ليضمن عدم تدخلها في الشئون الفرنسية.



دخول لويس الثامن عشر إلى فرنسا عام ١٨١٥

اعتبره الضمان الأقوى لسعادة الأمتين ولسلام العالم .

وفي ذلك الوقت ، كان دوق ويلنجتون Duke of Wellington صديق تاليران منذ مؤتمر فيينا ، رئيسا للوزارة ، فاستقبل السفير استقبالا طيبا ، وكانت تلك لفظة طيبة لعبت دورا في صالح فرنسا ، وهي في موقف تحتاج فيه لكل عطف ، وذلك هو تسوية المشكلة البلجيكية تسوية مرضية .

كان لويس - فيليب يجد نفسه في طريق مسدود . كان الثوريون البلجيكيون ، الذين قاموا ضد السيطرة الهولندية ، قد استنجدوا بفرنسا لمساعدتهم في استعادة استقلال بلادهم ، وكان الرأي العام في فرنسا يؤيد تأييدا قويا فكرة التدخل في بلجيكا . أما الملك فقد رأى أنه إذا لم يستجب لاتجاهات الرأي العام ، فليس أمامه سوى الزول عن العرش ، وبذلك يلقي بفرنسا في خضم الفوضى ، ومن جهة أخرى ، فإن التدخل الفرنسي في بلجيكا يعتبر تحدياً للحلف المقدس ، ويهدد بخطر الحرب . وهنا برزت مهارة تاليران وسعة حيلته ، في محاولته اجتذاب إنجلترا للموافقة على استقلال بلجيكا . وفي

هذا السبيل استخدم فكرة مبدأ السيادة الوطنية ، وهي الفكرة التي سبق أن نجح في استخدامها ، وهي تلخص في أنه : « لما الملكية في إنجلترا وفي فرنسا قد قامت على الإرادة الوطنية ، فمن العدل أن تقوم بمساعدة بلجيكا في نفس السبيل . فبدون إنجلترا ، لا يمكن أن يحدث تحالف ، وبالتالي فلا حرب . وفي هذه الحالة فإن لويس - فيليب يستطيع أن يقوم بمحاولة التدخل المحدود في بلجيكا » . وفي ٤ نوفمبر ، عقد في لندن مؤتمر برئاسة ولنجتون ، وفي نفس اليوم قرر المؤتمر فرض الهدنة . وفي ٢٠ ديسمبر أعلن استقلال بلجيكا . وكان ذلك ثمرة التحالف الفرنسي الإنجليزي ضد هولندا .



دوق ولنجتون

نهاية أمير

مرت السنوات الأخيرة من حياة أمير بنيفان في هدوء . وقد قضاه عند ابنة أخيه ، دوق دينو Dino ، التي كان يكن لها صداقة عميقة . وتأثير عاطفة الصداقة هذه ، حدث مالا يكاد يصدق أحد : ألا وهو عودة المطران المنشق ، والمسيحي المرتد ، إلى حظيرة الإيمان . وهنا يتساءل بعضهم عما إذا كانت هذه الخطوة من جانب تاليران ليست إلا آخر مناورة يقوم بها لذر الرماد في عيون العالم . . . أما بعضهم الآخر فيرى أن ما قاله تاليران نفسه في هذا الصدد يفسر حقيقة طبيعته خير تفسير ، فقد قال : « إنني أريد أن يظل العالم ، على مر القرون ، يناقش ماذا كنت ، وماذا كنت أفكر فيه ، وماذا كنت أريد » .

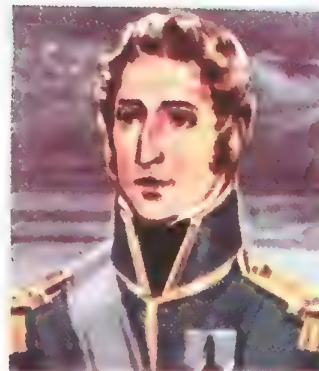
عودة لويس الثامن عشر ، هي الحل الوحيد لإقامة حكومة شرعية في فرنسا . وقد صرح تاليران للقيصر قائلاً : « إن الجمهورية تعتبر استحالة ، أما الوصاية على العرش - برنادوت - فليست إلا مكيدة . وآل بوربون هم الأصل » .

وفي ٢٣ أبريل ، وكان تاليران على رأس الحكومة المؤقتة ، تمكن من الحصول ، وعلى وجه السرعة ، من الكونت دارتوا d'Artois على توقيعه على اتفاقية الهدنة . والكونت دارتوا هو شقيق الملك الذي كان لا يزال غائبا . وفي ٣١ مايو ١٨١٤ ، عين لويس الثامن عشر ، تاليران ، في منصب وزير الشؤون الخارجية ومنحه لقب أمير .

وفي معاهدة باريس التي أدت إلى عودة فرنسا المهزومة إلى حدود يناير ١٧٩٢ ، استطاع الوزير ، ولو لمرة واحدة في حياته ، أن يظل مخلصا لمبادئه : « يجب أن تظل فرنسا قابعة في حدود إمكانياتها الخاصة . إن ذلك هو ما يقضى به ، مجدها ، وعدالتها ، وحكمتها ومصالحها » . أما أعظم أعمال تاليران ، فهو الدور الذي قام به في مؤتمر فيينا . وقد استخدم نفس الحجج التي كان الحلفاء يستخدمونها منذ ١٥ عاما ضد نابليون الأول ، وذلك بإلغائه للتحالف الذي كان سببا في دمار فرنسا . وفي ٣ يناير ١٨١٥ ، عقدت معاهدة تحالف بين فرنسا وإنجلترا والنمسا ، وقد أدت إلى الحد من مغالاة المتصرين بدرجة واضحة .

تاليران وآل أورليانز

بعد انتهاء مؤتمر فيينا ، لم يلعب تاليران سوى دور ثانوي مدة حكم



شارل العاشر

كل من لويس الثامن عشر وشارل العاشر . ولكننا نجده يدبر أموره في الظلام ، مرة أخرى ، في انتظار تغييرات جذرية . كانت ثورة ١٨٣٠ بالنسبة له فرصة رائعة للتحويل .

أخذ تاليران يتلاعب بالأفكار ، وتمكن من أن يقنع العالم بأنه لا شيء يعدل قيام ملكية شعبية ، بعد أن فشلت الملكية ذات الحق الإلهي ، وكانت إنجلترا قد قدمت للعالم منذ وقت طويل مثالا حيا على صحة هذا الرأي .

فلماذا لا تحذو فرنسا حذوها ؟ الواقع أن ذلك هو ما حدث فعلا ، بارتقاء لويس فيليب العرش .

وما أن أتم تاليران إسهامه في تثبيت عرش آل أورليانز ، حتى تولى منصب السفير لبلاده في إنجلترا طيلة الفترة من ١٨٣٠ إلى ١٨٣٤ ، وأخيرا وجد أنه يستطيع تحقيق حلمه القديم في إقامة تحالف بين البلدين . وقد كتب تاليران في مذكراته

يقول : « منذ ست وثلاثين سنة ، كنت قد غادرت نفس هذه الشواطئ البريطانية ، بعد أن خرجت منفيا من بلادى نتيجة اضطرابات الثورة ، ثم أبعدت عن الأراضي البريطانية ، نتيجة مؤامرات المهاجرين . أما الآن فأعود إليها مليئا بالأمل ، بل الرغبة في إرساء قواعد التحالف بين فرنسا وإنجلترا ، وهو التحالف الذي كنت دائما



لويس - فيليب

نزلات البرد العامة

العلاج

كان المصاب بالبرد ينصح بتناول الكينين Quinine ، أو الشاي ، أو شراب الليمون ، أو العسل ، أو حتى بعض المواد الكحولية من أجل علاج نوبات البرد العامة . ولكن لا يظهر أن لأى واحدة منها أثرا كبيرا . ولا شك أن أفضل علاج هو الراحة التامة عدة أيام في الفراش ، بحيث يصاحب المريض صندوق من المناديل الورقية ، وذلك كفيلا لا بإحداث شفاء ذاتي في خلال أسبوع فقط ، ولكن من المحتمل أن يبق ذلك بقية سكان المنزل من الإصابة بعدوى البرد .

وفي أثناء الأعوام القليلة الماضية ، ظهرت بعض أنواع الحبوب التي - بتناولها عن طريق الفم - تؤدي إلى اختفاء تورم الغشاء المخاطي للأنف ، وهكذا يصبح التنفس عن طريق الأنف أسهل بالنسبة للمصاب . وكثير من الناس يجدون أن هذه الحبوب تساعدهم إلى حد بعيد ، ومادامت هذه الحبوب تستعمل باعتدال ، فإنها تخلو تماما من أى ضرر .

اكتشاف الفيروس

وقد اكتشف فيروس البرد العام لأول مرة في عام ١٩٥٣ ، على يد فريق من علماء الفيروسات البريطانيين العاملين في إحدى مستشفيات ساليسبوري . ول سوء الحظ ، كانت هناك صعاب في استزراع هذا الفيروس الأول من فيروسات البرد ، وبعد فترة ضاع أثر هذا النوع من الفيروسات . ورغم ذلك فقد استمر هؤلاء العلماء في أبحاثهم ، وفي عام ١٩٥٩ ، نجحوا مرة أخرى في عزل فيروس كان يستطيع أن يتسبب في البرد . ومنذ ذلك الوقت ، نجح علماء الفيروسات في عزل فيروسات كثيرة من التي تسبب نوبات البرد ، ومن المؤكد الآن أنه لا يوجد مجرد نوع واحد من الفيروسات يعتبر مسئولاً عن إحداث نوبات البرد ، بل إن هناك أنواعا عديدة . وهذه الأنواع المتعددة من فيروسات البرد قد تفسر - إلى حد ما - حقيقة أن أعراض البرد ليست دائما متطابقة تماما .

التوقاية من نوبات البرد

إن أفضل طريقة لمنع نوبات البرد في الوقت الحاضر ، هي أن يتخذ المصاب بالبرد إلى الراحة التامة في الفراش . وبذلك تقل اتصالاته بالناس الآخرين إلى الحد الأدنى ، وتقل بالتالي فرص انتقال عدوى البرد منه إلى الآخرين .

وربما نتوصل يوما ما إلى الحصول على فاكسين (طعم Vaccine) يمنع نوبات البرد ، أو إلى دواء يمنع فيروسات البرد من النمو في غشاء الأنف المخاطي . ولكننا ، وحتى يحدث ذلك ، سنظل منكوبين بهذا المرض ، الذي يعتبر من أكثر الأمراض المعدية انتشارا .

يقاسى كل فرد تقريبا في بعض البلدان الأوروبية ، من نزلة برد وزكام في الأنف مرتين في السنة . ويتكرر حدوث الزكام في الأنف أكثر من أى مرض معد ، ولذلك - ولأسباب وجيهة تماما - سمي « نزلات البرد العامة Common Cold » . وتحدث النزلة البردية بفعل فيروس ، أو بالأحرى بفعل عدة فيروسات مختلفة ، تتعلق كلها بالغشاء المخاطي Mucosa الذى يبطن المسالك الأنفية ، وتسبب العدوى بهذه الفيروسات في جعل الغشاء المخاطي الذى يبطن المسالك الأنفية يتورم ويصب كميات كبيرة من المخاط الأنفى Nasal Mucus ، وهذا بعينه هو الذى يحدث أكثر أعراض الزكام وضوحا ومضايقة ، ألا وهو انسداد الأنف ، وسيلان الرشح منه .

أعراض البرد

يكفى لشخص سليم أن يقضى لحظات قليلة في وجود شخص مصاب بنوبة برد شديدة ، لكي تهى هذه اللحظات فرصة لإصابته بعدوى البرد . وتبلغ فترة الحضانة Incubation Period للزكام - أى الوقت ما بين العدوى وأول ظهور الأعراض - حوالى ٤٨ ساعة . ويبدأ المصاب بعد ذلك في الإحساس بقليل من الحرقان في واحدة أو اثنتين من طاقى أنفه ، وخاصة حينما يستنشق الهواء ، وكثيرا ما يصاحب

هذا الحرقان Soreness نوبات من العطس Bouts of Sneezing . وقد تبدأ نوبات البرد عند بعض الناس - بصورة مميزة - بدلا من الأنف ، بحرقان بسيط في حلقهم .

وأهم الأعراض Symptoms التي تميز البرد العام ، هو انسداد وسيلان الأنف ، ويحدث عادة في خلال ١٢ ساعة من حدوث الحرقان . وفي بادى الأمر ، تتدفق من الأنف كميات كبيرة من مخاط مائى تقريبا (مرحلة استعمال المناديل الورقية) ، ثم يصبح المخاط - بعد حوالى يومين - أثقل بكثير ، وأقل في كميته . وعلى المرء في أثناء هذه المدة أن يتنفس عادة من فمه ، لأن المسالك الأنفية تكون مسدودة تماما بالغشاء المخاطي المتورم ، والمخاط الزائد .

وبعد حوالى أربعة أيام أخرى ، يخف تورم الغشاء المخاطي ، وتعود كمية المخاط إلى طبيعتها . وهكذا تنتهى نوبة البرد بالنسبة للكثيرين ، بعد أن تكون الأعراض كلها قد مكثت مدة أسبوع فقط .

أما بعض الأشخاص من ذوى الحظ السيء ، فقد يصابون بكحة Cough في هذه المرحلة ، وقد تستمر بصورة مهيبة لمدة أسبوعين آخرين ، قبل أن تختفى نهائيا ، حينئذ يقال إنهم قد شفوا تماما .

المضاعفات

إن أكثر مضاعفات Complications النزلات البردية انتشارا هي « التهاب الجيوب الأنفية Sinusitis » ، أى الالتهاب الذى يحدث في الفراغات الهوائية (الجيوب) الموجودة داخل العظام ، الكائنة على جانب وفوق المسالك التنفسية . وكثيرا ما يكون هذا النوع من



قد تؤدي مضاعفات نوبة إصابة بالبرد ، إلى التهاب كل من الجيوب الأمامية (البرتقالية اللون) ، والجيوب الفككية (الزرقاء اللون) .

المضاعفات باعشا على الضيق ومسببا للألم ، وقد يحتاج الأمر إلى علاج بواسطة مضادات الحيوية Antibiotics ، لكي يتم قهر الجراثيم المسئولة بصفة رئيسية عن حدوثها .

أما بالنسبة للأطفال الصغار الذين يرضعون لبن أماتهم أو « بالبرازة » ، فإن الإصابة بنوبة برد تعد مرضا خطيرا تماما . فبسبب هذا الأنف المسدود ، يحتاج الطفل إلى استعمال فمه من أجل التنفس والطعام معاً . ونتيجة لذلك ، قد يجد الطفل مشقة في الرضاعة من الثدي ، بحيث يصبح مرهقا تماما قبل أن يتمكن من الحصول على حاجته الكافية من اللبن بفترة طويلة .

التهاب الكلى "مرض برايت"

المرض

تختلف قدة مرض برايت اختلافا كبيرا ، إذ أن بعض المصابين به يصبحون مرضى إلى درجة كبيرة بصورة مفاجئة ، في حين أن بعضهم الآخر قد يحجون حياة عادية لمدة سنوات ، من غير أن يدركوا أنهم مصابون بالمرض . وليس مجهولا أن المرض قد يكتشف لأول مرة حينما يذهب المصاب به - وهو لا يدري بإصابته بالمرض - لإجراء فحص طبي روتيني .

ورغم أن أعراض المرض تختلف اختلافا كبيرا من مريض لآخر ، إلا أنها كلها تقريبا ترجع إلى التهاب الكليتين . وهكذا ، فحين يكون الالتهاب شديدا - حتى لو لم يكن بالضرورة التهابا دائما - فإن الزلال (الألبومين) لا يتسرب فقط من الدم في البول ، وإنما تتسرب أيضا أعداد من كرات الدم الحمراء ، ونتيجة لذلك فإن البول يصطبغ باللون الأحمر . وفي عديد من الأحيان ، هناك قصور في وظيفة الكلى الإفرازية ، حتى يتم احتجاز الماء والملح الذي لا لزوم له في الجسم ، وينتج عن ذلك التورم . وفي حالات أخرى ، لا يتم إفراز البولينا بكمية كافية بسرعة ، ويرتفع بذلك مستوى هذه المادة ، التي هي من الفضلات في الدم . وينحصر علاج مرض برايت في الراحة في الفراش ريثما تخف حدة التهاب الكلى . وفي بعض الحالات - مع ذلك - تصاب المرشحات الكلوية بالتلف الخطير ، إلى الحد الذي تصبح فيه عاجزة عن العمل بصورة طبيعية مرة أخرى ، ونتيجة لذلك تستمر بعض أعراض المرض في البقاء .

تظل صور كثير من الأطباء المشهورين في إطاراتها على حوائط كلية الأطباء الملكية بلندن ، ولكن من أكثرها إنسانية ، صورة ريتشارد برايت Richard Bright . كان برايت رجلا رحالة ، وفنانا ، وطيبيا ، وهكذا كان « رجل مزاج سوى ، وميول مرحة » . وكذلك كان رجل عمل متواصل ، ونظرة ثاقبة ، وكانت هذه هي الصفات التي مكنته أن يدرك - قبل أي طبيب آخر - هذا المرض الغريب الذي يصيب الكليتين ، والذي يعرف حتى اليوم بمرض برايت Bright's Disease .

ريتشارد برايت

ولد ريتشارد برايت في عام ١٧٨٩ ، وكان ابنا لأحد رجال بنوك مدينة برستول الأثرياء . وقد درس الطب في إدنبره وفي مستشفى جاي بلندن ، وتخرج كطبيب في عام ١٨١٣ . وبدلا من أن يمارس المهنة مباشرة بعد الحصول على شهادته ، غادر إنجلترا في جولة واسعة في أوروبا ، وبقي بالخارج حتى عام ١٨٢٠ ، وعند عودته مارس المهنة كطبيب مشهور في لندن ، وفي فترة جد قصيرة ، تم تعيينه كمساعد إخصائي باطني في مستشفى جاي . وبعد أربع سنوات ، وفي عام ١٨٢٤ ، رقى لوظيفة إخصائي باطني .

ولم يكن ريتشارد برايت طبيبا دووبا منكبا على العمل فقط ، وإنما كان شديد الحنكة والدهاء أيضا . فبعد قليل من تعيينه في مستشفى جاي ، أدرك أن المرضى المصابين بتورم Dropsy في ساقيهم كثيرا ما كانت في بولهم مادة زلال (الألبومين Albumin) . وقد رأى برايت أيضا أن هاتين الظاهرتين كانتا - بطريقة ما - مرتبطتين بمرض الكليتين . ولكي يثبت فكرته ، ابتدأ يبيح المشكلة ، عاكفا على ذلك لمدة ست ساعات كل يوم ، لمدة شهور عديدة . وفي عام ١٨٢٧ ، كان قد اكتشف الحقائق الرئيسية للمرض الذي يحمل الآن اسمه ، وهكذا أصبح واحدا من أكثر الأطباء شهرة في كل العصور .

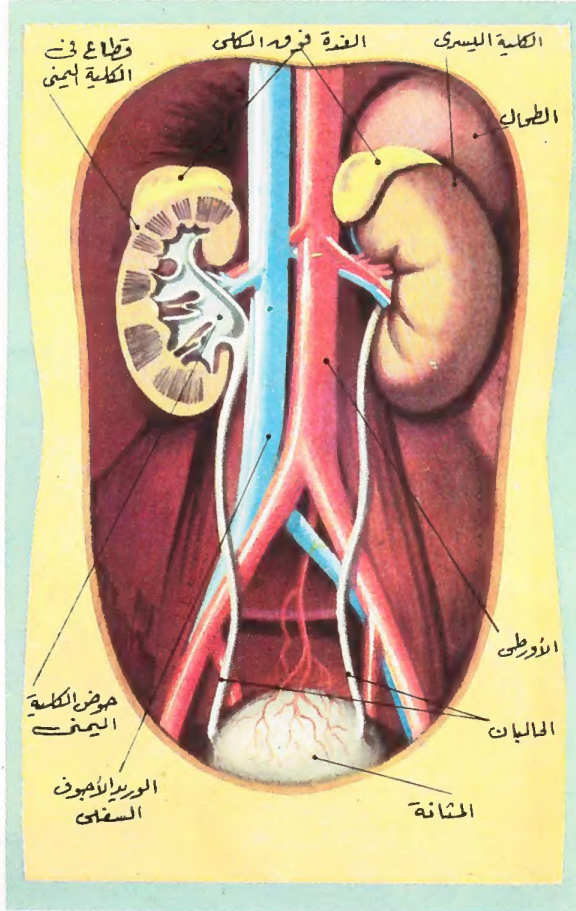
وظيفة الكليتين

ومن المهم - لكي نفهم طبيعة المرض الذي اكتشفه ريتشارد برايت - أن نعرف أولا قليلا من المعلومات

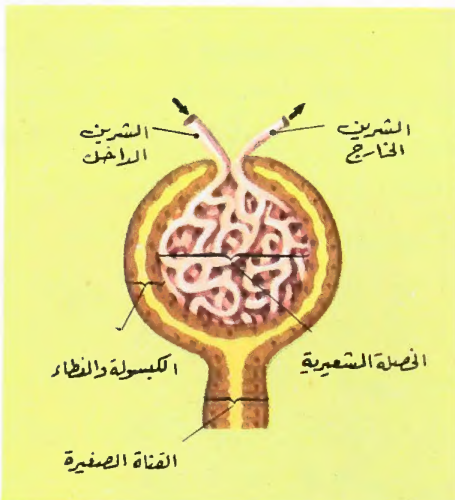
حول فسيولوجيا الكليتين . ففي الشخص البالغ العادي ، توجد اثنتان من هذا العضو ، مهمتهما هي أن يزيلوا من الدم - وبالتالي من الجسم ككل - مالا حاجة له به من الماء ، ومن منتجات التمثيل الغذائي للجسم ، وخاصة الفضلات النيتروجينية التي هي «البولينا Urea» . ويتم توجيه الدم الذي يصل إلى الكليتين عبر الشرايين الكلوية إلى الجزء الخارجي من مادة الكلية ، وحيث يمر عبر آلاف من الخصلات الدقيقة Tiny Tufts ، من الشعيرات الرقيقة الجدران والتي تعرف بالمرشحات الكلوية Glomeruli . وتتسرب الفضلات التي لا حاجة لها في الدم عبر الجدران الرقيقة لشعيرات هذه المرشحات ، وبعد أن تتجمع في « القشرة Capsule » التي تحيط بكل مرشح ، تمر إلى أسفل في أنبوبة متعرجة طويلة تسمى « القناة الصغيرة Tubule » ، لتصل إلى « حوض Pelvis » الكلية . ويعرف السائل الذي يتجمع في أحواض الكليتين « بالبول Urine » .

ما الذي يسبب مرض برايت

بالرغم من مرور أكثر من مائة عام منذ اكتشاف ريتشارد برايت المرض الذي يحمل اسمه ، إلا أن سبب المرض لا يزال غير مفهوم تماما . ومع ذلك ، فنحن نعلم أن كثيرا من نوبات المرض تتبع التهابات الحلق ، وخاصة التهاب اللوزتين Tonsillitis ، وأن الإصابة الرئيسية في مرض برايت ، هي درجة التهاب شديد في الكليتين ، وكثير من الأطباء يسمون التهاب الكلى Nephritis (من اليونانية Nephros بمعنى كلية) .



يوضح هذا التثريح ، ترتيب أعضاء الجهاز البولي داخل التجويف البطني .



منظر لإحدى المرشحات الكلوية . ويوضح كيف تتسرب الفضلات من الخصلة الشعيرية إلى تجويف القناة البولية .

ابن جامع

هو أبو القاسم اسماعيل بن جامع ، العربي القرشي حسباً ونسباً . ولد بمكة ومات أبوه وهو صبي . ربي تربية فقهية دينية تليق بأمثاله من أبناء البيوتات المحيطة من قريش . ثم تزوجت أمه من « سباط » المغني المشهور ، فنشأ نشأة موسيقية حتى صار عالماً من أعلام الغناء والتلحين في العصر العباسي . وكان وافر التقوى ، كثير التعبد والصلوات ، يبدو في أروية الفقهاء وأهل الورع .

ابن جامع وإبراهيم الموصلي

وقد عاصر ابن جامع إبراهيم الموصلي ، وكان ينازعه المقام الفني الرفيع البعيد المدى . وقد حكم بينهما « برصوم » العازف بالناي ، حكم معاصر فنان يضع كلا منهما في موضع لا ينتقص فيه فضله . قال حين سئل عنهما : « الموصلي بستان تجدد فيه الحلو ، والحامض ، والطري الذي لم ينضج ، فتأكل من هذا وذلك ، وابن جامع زق عسل ، إن فتحت فمه خرج عسل حلو ، وإن خرقت جنبه خرج عسل حلو ، وإن فتحت يده خرج عسل حلو ، كله جيد » .

ونمي إلى الخليفة المهدي (٧٧٥-٧٨٥م) أن ابن جامع وإبراهيم الموصلي يجلسان إلى ولده موسى الهادي في مجلس شراب وغناء ، وكان قد حرم على ولده أمثال هذه المجالس وهو بين فتنى الشباب والثروة ، فاستقدم هذين المغنيين ، وضرب الموصلي ضرباً موجعاً ، وأمر بحبسهما . أما ابن جامع فاسترحم الخليفة ففرق له ، وأطلق سراحه وقال له : قبلك الله ، أرجل من قريش يغني !!! رحم الله المهدي ، إنه لم يكن يدري وقتئذ أن ابنه إبراهيم وابنته « علية » سيكونان من مفاخر أعلام الغناء العربي في العصر كله ، وأن لهما في حسن الصوت وجماله ما لم يكن لغيرهما ، وإن لم يحترفا الغناء .

وغنى ابن جامع يوماً بحضرة الرشيد ، وجاء إبراهيم الموصلي بعد يوم يسأل الوزير جعفر عما كان لمجلسهما من الأثر . فأخبر جعفر أن ابن جامع كان يغنيهما ، وكان يخرج في غنائه عن الإيقاع . وكأنما حاول جعفر بهذا أن ينزل بقيمة ابن جامع قليلاً لتطيب نفس الموصلي ، لما يعرفه بينهما من شديد المنافسة . وهنا تتجلى روح الفن الصادق ، بل هنا تستيقظ أريحية الموصلي وتبله ، فينسى المنافسة ، ويذكر شيئاً واحداً هو الحق الذي يعتقده في زميله الفنان ، فيجيب جعفر ، وهو الوزير المطلق اليد النافذ الكلمة ، بذلك الجواب الحاسم فيقول : « أتريد أن تطيب نفسي بما لا تطيب به . لا والله ، ما عطس أو سعل ابن جامع منذ ثلاثين سنة إلا بإيقاع ، فكيف يخرج اليوم منه !!! » .

كل بيت مائة ألف درهم

وقلما سمعنا أن شاعراً أو مغنياً كوفي عن كل بيت من قصيدة غناها مكافأة خاصة ، كأن كل بيت منها قصر من الفن الخالد ، جدير بالتقدير والتحميد . أرسلت



زبيدة إلى الرشيد مرة تقول له : يا أمير المؤمنين ، إنى لم أرك منذ ثلاثة أيام ، وهذا اليوم الرابع . فأرسل إليها يقول : عندى ابن جامع . فأرسلت تقول : أنت تعلم أنى لا أهنأ بشراب ولا سماع إلا أن تشاركنى فيه ، فما عليك أن أشاركك فى الذى أنت فيه ؟ فأرسل إليها : إنى سائر إليك الساعة . وسار إليها ومعه ابن جامع ، وجعله فى موضع يسمع منه ، ولا يكون حاضراً معهما . ثم أمره أن يغنى أغنية فى لحن نادر المثال . فطربت زبيدة طرباً بالغاً ، وقالت لخادمها : « ادفع إلى ابن جامع لكل بيت مائة ألف درهم » . فقال الرشيد : « غلبتنا يا بنت أبى الفضل ، وسبقتنا إلى بر ضيفنا » .

رفيق الشعر والألحان

وكان ابن جامع يتخذ الرفيق من الشعر ، ليضع له أجمل الألحان . وإنك لتقرأ هذه الأبيات الثلاثة فيشجيك منها نسجها ومعناها ، قبل أن تعرف شيئاً عن لحنها ، وما أروع اللحن إذا كان الغناء لابن جامع :

فلو كان لى قلبان عشت بواحد
وخلفت قلباً فى هواك يعذب
ولكنما أحيا بقلب مروع
فلا العيش يصفو لى ولا الموت يقرب
تعلمت أسباب الرضى خوف سخطها
وعلمها حى لها كيف تغضب
وكان من أحسن ألحان ابن جامع لحناً
غناه تشبهاً بحبيبتة ، وكانت سوداء اللون ، قال :

أشبهك المسك وأشبهته
قائمة فى لونه قاعدة
لا شك إذ لونكما واحد
أنكما من طينة واحدة
وكان ابن جامع من أولئك العباقرة الذين يلتقطون الجوهرة حيناً وجدت ، لا يبالون من أين ولا من ، ما دامت هى الجوهرة . فقد استمع إلى جارية سوداء تحمل قربتها ، فاشترى منها اللحن مرتين فى يومين متتاليين ، دون أن يعنيه أنه هو ابن جامع مغنى الخلفاء ، وأنها الجارية التى تحمل قرابة السقاء .

استمع ابن جامع يوماً إلى أمة سوداء على ظهرها قرابة وهى تغنى :
فردى مصاب القلب أنت قتلته ولا تبعدى فيما تجشمت ، كلثما
إلى الله أشكو بخلها وسماحتى لها عسل منى وتبذل علقما
فقصد ابن جامع إلى الجارية ، وحفظ منها اللحن نظير درهمين منحهما إياها . ولكن ابن جامع أصبح من غد لا يذكر شيئاً من هذا اللحن ، وإذا هو بالسوداء قد طلعت وعلى ظهرها القرابة ، ولكنها تغنى لحناً غير ذلك اللحن الذى يريده . ففتحها درهمين آخرين ، وأخذ منها لحن الأمس مرة ثانية ثم كان ابن جامع عند الرشيد يوماً فقال : « من غنائى فله ألف دينار » . فغنى القوم فلم يطرب الرشيد ، إلى أن غنى ابن جامع صوت الجارية السوداء ، فرى الرشيد إليه بكيس فيه ألف دينار ، ثم قال له أعده ، فأعاده ، فرى إليه بثنان ، ثم أعاده ، فرى إليه بثالث ، ثم برابع وتوفى ابن جامع حوالى عام ١٨٨ هـ (٨٠٣ م) .

كيف تحصل على نسختك

- اطلب نسختك من باعة الصحف والاكتشافات والكتب في كل مدن الدول العربية
- إذا لم تتمكن من الحصول على عدد من الأعداد اتصل بـ :
- في ج.ع.م : الاشتراكات - إدارة التوزيع - مبنى مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة
- في البلاد العربية : الشركة الشرقية للنشر والتوزيع - بيروت - ص.ب ١٤٨٩
- أرسل حوالة بريدية بمبلغ ١٢٠ مليما في ج.ع.م وليرة ونصف بالنسبة للدول العربية بما في ذلك مصاريف البريد

مطبع الأهرام التجارية

سعر النسخة

ج.ع.م. ١٠٠	مليما	أبوظبي ٢٠٠	فلنس
لبنان ١	ل.ل.	السعودية ٢	ريال
سوريا ١٢٥	ل.س.	عند ٥	شلتات
الأردن ١٢٥	فلنسا	السودان ١٥٠	مليما
العراق ١٢٥	فلنسا	لبييا ١٥	فلنسا
الكويت ١٥٠	فلنسا	تونس ٢	فلنسا
البحرين ٢٠٠	فلنس	الجزائر ٣	دنانير
قطر ٢٠٠	فلنس	المغرب ٣	دراهم
دب ٢٠٠	فلنس		

دستور

أما في فرنسا ، فكان لابد من الانتظار حتى ثورة ١٧٨٩ ، لكي يوضع حد لنظام الحكم الملكي المطلق . والواقع أنه في ذلك التاريخ ، صوتت الجمعية التأسيسية على « إعلان حقوق الإنسان والمواطن » .

وفي إنجلترا ، كان النظام الديموقراطي ولید تطور تاريخي طويل الأمد . في عام ١٢١٥ ، منح الملك جون الملقب « بالذي لا يملك أرضا » للشعب « العهد الأعظم Magna Carta » ، وهو العهد الذي يحدد نهاية الحكم المطلق ، ويعترف بحرية الإنسان . وقد استكمل هذا العهد في عام ١٦٢٨ بلائحة الحقوق ، التي تنص على أنه لا يمكن حبس أي مواطن إلا بقرار من القاضي Habeas Corpus ، وأن بيته لا يمكن التعدي عليه .



أحد أفراد الرعية ، ينحني أمام ملكه ، ليقسم له يمين الطاعة والولاء .

وفي عام ١٦٤٩ ، دعا أوليفر كرومويل Oliver Cromwell البرلمان الإنجليزي ليعين « أن الشعب يملك كل السلطة بعد الله » ، وأن مجلس العموم يمثل الشعب . وقد أصبح نظام الحكم في إنجلترا تحريرا Liberal ، واعترف به ولیم الثالث (أورانيچ) عندما اعتلى عرش إنجلترا عام ١٦٨٩ ، وذلك بعد ثورة كرومويل .

أما الوثائق الأساسية الأخرى في تاريخ الحرية فهي « إعلان استقلال الأراضي المنخفضة » (١٥٨١) ، و « إعلان الحقوق » (الذي وافقت عليه الولايات المتحدة عام ١٧٧٦) ، وأخيرا إعلان « حقوق الإنسان والمواطن » عام ١٧٨٩ ، السابق ذكره .

وفي عام ١٨١٥ ، حاول الملوك الاحتفاظ بجزء من السلطات المطلقة التي بقيت لهم ، فعقدوا « الحلف المقدس » ، غير أن الثورات التي اندلعت في جميع أرجاء أوروبا على مدار القرن التاسع عشر ، قد وطدت حق الشعوب في الاشتراك في حكم بلادها .

والدستور Constitution هو القاعدة التي تبني عليها الدولة نظام الحكومة وتنظيمها . كما أن من وظائفه تحديد العلاقة بين المواطنين وحكومتهم .



كان العهد الأعظم ، الذي منحه ملك إنجلترا للبارونات ، خطوة أولى في سبيل حكومة الشعب

أهم الدساتير الفرنسية

في الفترة ما بين عامي ١٧٨٩ و ١٨٧٥ ، تعاقب على فرنسا ثلاثة عشر دستورا ، أهمها :

دستور ١٧٩١ الذي وضعته الجمعية التأسيسية .

دستور ١٧٩٣ وهو من وضع المؤتمر (ولم ينفذ) .

دستور العام الثالث ، وقد وضعه المؤتمر ليحل محل الدستور السابق ، الذي لم يتسن تطبيقه . كانت تلك الدساتير ذات صبغة ديموقراطية ، وقد ألغاه ناپليون بوناپرت



▲ قصر العدالة في ميلانو

عندما تولى الحكم ، وأنشأ الحكومة القنصلية ثم الإمبراطورية على أساس دستور العام الثالث .

دستور ٤ يونيو ١٨١٤ ، ويعتبر العلامة المميزة لبداية عودة الملكية في فرنسا ، وقد حل محله دستور ٤ أغسطس ١٨٣٠ بعد ثورة ذلك العام ، ولكنه منح الفرنسيين حرية أوسع .

وجاء دستور ١٨٤٨ فأسس نظاما جمهوريا استمر حتى صدور دستور عام ١٨٥٢ ، الذي يعتبر بداية الإمبراطورية الثانية .

وكان لابد من انتظار صدور دستور ١٨٧٥ ، لكي تستقر الإمبراطورية الثالثة . وبعد الاضطرابات التي حدثت في الفترة ما بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٤٥ ، صدر

دستور ١٩٤٦ ، وهو دستور الجمهورية الرابعة .

وأخيرا نذكر آخر دستور صدر في فرنسا ، وهو دستور ٤ أكتوبر ١٩٥٨ .

معجم مختصر لبعض الاصطلاحات السياسية

حكم مطلق : شكل الحكومة التي يكون لرئيس دولتها جميع السلطات ، دون استشارة ممثلي الشعب .

تعديل : التغيير الذي يجرى على القوانين .

استبدادية : شكل الحكم في مجتمع بدون دولة (نظام) .

الانتخاب بالاسم : نوع من التصويت يدعو فيه رئيس المجلس جميع الناخبين بالترتيب الهجائي لأسمائهم ، وهؤلاء يجيبون بنعم أو بلا عند النداء عليهم بالاسم .

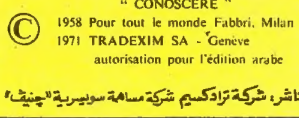
جمعية تأسيسية : وهي جمعية تكلف بوضع الدستور . ولقد اكتسبت الولايات الفرنسية التي اجتمعت في عام ١٧٨٩ اسم « الجمعية التأسيسية » ، عندما قررت منح فرنسا دستورا .

في هذا العدد

- أساطير رومانية قديمة .
- سور هادريان .
- الرايين • البراكين • القراولة .
- تماثيل بين النبات والحيوان .
- الملك الشهيد والدانيون .
- تاليران ، أمير السياسة .
- نزلات البرد العامة .
- التحاب السكلي "مرض برايت" .
- ابن جامع .

في العدد القادم

- جستنيان .
- التقويم الروماني والعلية والأوزان والتقايس .
- النمسا - من الناحية الاقتصادية
- مدن النمسا .
- السلاحف البرية والسلاحف البحرية .
- الملك جون .
- أوروبا بعد مؤتمر فيينا .
- الكساح .
- مرض السكر .
- أمير ويلز .



الناشر: شركة تراكسيم شركة مساهمة سويسرية "جنيف"

دستور

- الحكم الذاتي (لا مركزية) :** استقلال نسبي بالنسبة للدولة لجزء محدد منها (ولاية أو كومون أو مقاطعة) ، أو لخدمة عامة (البريد والتليفون والتلغراف) .
- مرشح :** اسم يطلق على كل شخص يرغب في أن ينتخب لإحدى الوظائف العامة .
- الوسط :** اسم يطلق على الأحزاب السياسية التي تجلس في منتصف المجلس .
- رئيس الدولة :** السلطة العليا في الدولة ، ملك أو رئيس جمهوريه تبعا لنظام الحكم .
- الكومون :** أصغر تقسيم إداري في الدولة .
- مجلس الوزراء :** اجتماع جميع الوزراء ، سواء كانت لهم وزارات ، أو كانوا وزراء دولة .
- مجلس بلدي :** الهيئة الإدارية للكومون، وتتكون من العمدة، ونوابه ، وأعضاء المجلس الذين ينتخبهم أهالي الكومون .
- الدستور :** القوانين الأساسية للدولة، وتحدد أعضاء السلطة وعلاقاتهم، وتحدد واجبات وحقوق الفرد بالنسبة للدولة .
- انقلاب :** محاولة غير قانونية للاستيلاء على السلطة .
- مرسوم :** قرار من السلطة التنفيذية يتخذ في حدود القانون .
- مرسوم بقانون :** قرار عام تتخذه الحكومة بدلا من البرلمان وتبصر منه .
- ديموقراطية :** حكم الشعب بواسطة ممثليه المنتخبين .
- نائب :** مواطن ينتخبه الشعب .
- دبلوماسية :** النشاط المتعلق بالعلاقات السياسية مع الدول الأخرى .
- يمين :** اسم يطلق على الأحزاب السياسية التي تجلس إلى يمين المجلس بالنسبة للناظر إلى نصف الدائرة .
- ناخب :** المواطن الذي له حق الانتخاب .
- انتخاب :** العملية التي يحدد بها المواطنون ، عن طريق التصويت ، ممثلهم في الوظائف العامة أو السياسية .
- الدولة :** مجموع الهيئات التي يحددها الدستور لإدارة وتوجيه الأمة .
- حامل أختام :** وزير العدل الذي يحمل الأختام التي يوقع بها أسفل المعاهدات .
- اليسار :** اسم يطلق على الأحزاب السياسية التي تجلس إلى يسار المجلس بالنسبة للناظر إلى نصف الدائرة .
- الحكومة :** مجموع الوزراء .

- حصانة برلمانية :** مبدأ يقضي بعدم جواز القبض على عضو البرلمان أو الحكم عليه ، إلا بموافقة أعضاء المجلس الذي يتبعه .
- جريدة رسمية :** جريدة تنشر بها جميع قرارات الدولة .
- قانون :** إجراء إرادي يتخذه البرلمان، ويلزم به جميع المواطنين . والقانون يعتمد من كلا المجلسين ويصدره رئيس الدولة .
- وزارة :** مجموعة إدارية تعمل على تنظيم الأنشطة ذات الطابع الواحد في مستوى الدولة .
- وزير بوزارة :** الشخص الذي يتولى الإدارة العليا في الوزارة . ويعينه رئيس الدولة، بناء على اقتراح رئيس الوزراء .
- وزير دولة :** وزير بلاوزارة معينة ، ويقصد به عادة توسيع القاعدة الوزارية .
- ملكية :** شكل الدولة التي يكون رئيسها ملكا .
- أمة :** مجموعة الأفراد الذين يتكلمون عادة نفس اللغة ، ولهم نفس التقاليد ، ونفس الأصل ، وقد أبدوا الرغبة في المعيشة معا تحت ظل نفس القوانين .
- برلمان :** في فرنسا يدل الاسم على مجلس الشيوخ والجمعية الوطنية .
- حزب :** مجموعة أفراد يشتركون أساسا في نفس الآراء السياسية .
- مشروع قانون :** اقتراح تقدمه الحكومة لإصدار قانون جديد ليقره البرلمان .
- اقتراح بقانون :** مشروع قانون يضعه أعضاء مجلس الأمة أو مجلس الشيوخ، وليس الحكومة .
- استفتاء :** إجراء يدعى الشعب بمقتضاه إلى الإدلاء مباشرة برأيه عن طريق التصويت .
- جمهورية :** شكل الدولة التي يتولى فيها الرئيس سلطاته عن طريق انتخابه .
- نائب وزير أو وكيل وزارة :** شخص يعينه رئيس الدولة، بناء على اقتراح مجلس الوزراء ، لمساعدة الوزير الذي يعين لأجله ، ويجوز أن ينوب عنه .
- الاحتياطي العام :** الاحتياطي المالي للدولة .
- الاعتراض « فيتو » :** حق بمقتضاه تستطيع منع الأغلبية من اتخاذ قرار باختيارها .
- تصويت :** إجراء يعبر بمقتضاه المواطن أو النائب عن إرادته .